



كتم أنفاس



دار دريم بن للطباعة والنشر

العنوان : مدينة العبور - الحي السادس فيلا ٨ مدخل ١

هاتف : ٠١٠٠٣٢٨٨٥٩٦

بريد إلكتروني : @yahoo.com @gmail.com Dream.pen92

كتم أنفاس

تأليف: إسراء أحمد البكري

الطبعة الأولى، القاهرة 2019م

غلاف : عمار جمال العبد

تدقيق لغوي وتصميم : الديوان للتصميم وخدمات النشر

رقم الإيداع : ؟؟؟ / 2019

I.S.B.N: 978-977-488-???-?

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونياً نسخاً أو تسجيلاً أو تخزيناً، دون إذن خطي من الدار

كتم أنفاس

«مجموعة قصصية»

إسراء أحمد البكري

إهداء

إلى من علمني من نهر حنانه كيف يكون العطاء... وكيف
تُقتطف الكلمات وتُسرد بين سطورٍ مليئة بحروفٍ من الحب..
(أبي)

إلى من جعلتني أقوى على مصاعب الحياة وأعرف كيف
يكون صمود الجبال.. (أمي)

إلى عائلتي

إلى عائلتي التي ساندتني حتى أكون أنا..

إلى زوجي وابتنائي مُلهمي أفكارٍ وسبب إلهام كلماتي...

فأنا بدونكم لم أكن يوماً أنا....

المقدمة

عاشقة أنا للواقع ... أحب أن أقتطف منه حروفي وكتاباتي ...
أسرد من أحداثه قصصا لأجعلها تتعمق إلى أذهانكم وتصل
إلى قلوبكم فتلمس شعوركم بما أرويه ..

حياتنا ما هي إلا دروسٌ مستفادة من خلال أحداث تدور
ولا تتوقف .. قد تتشابه هذه الأحداث بيننا ولكنها تختلف في
الأشخاص والمكان ...

عيوننا ترى كل الأشياء فهي مصدر إمدادنا بشعاع الفهم
فهي نقطة التواصل بيننا وبين الأشياء المحيطة بنا ... لذلك
سأجعل ما كتبه أنا لكم تلمسوه بأعينكم وتشعروا به
بقلوبكم ... فجزءٌ كبير مما رويته أنا هنا من خلال أحداث
حقيقية ربما أكون أنا بطلتها .. وربما أقرب الناس لي .. وربما
شخصٌ منكم ..

ولكن ما أعرفه...
أنكم جميعكم أنا...
وأحداثي وكلماتي ما هي إلا قصة حياة البعض منكم..
فقلمي يمثلكم أنتم...

كتم أنفاس

البداية

أحمد أربعون عامًا يعمل في أكثر من مهنة بحكم الظروف
وقلة المادة.. فهو يملك من الوسامة قدرا عاليا ومن الطريقة
المثالية في الكلام المعسول قدرا كافيا لإيقاع أي بنت تقابله..
عنده مقدرة عالية أن يجعل أي امرأة تذوب عشقا في حبه
ضحاياه أكثر من عدد شعر رأسه في الغرام فملاح أحمد
كفيلة أن تجعل أي فتاة تعشقه عشقا خياليا فوجهه الأسمر
وعيناه البنيتان كلون عيون الصقر في نظراتهما أيضا عند
اصطياد الفريسة وشعره الأسود اللامع الكثيف يجعله مغرورا
جدا بنفسه حتى في مظهره الخارجي في ارتداء ملابسه دائما ما
تجده لا يرى أي شخص أفضل منه فهو فقط من خلق جميلا
على هذا الأرض وبالرغم من كل تلك القدرات إلا أنه يملك
قلبا قاسيا متحجرا لا يلين تحت أي ظرف من الظروف أبداً.

في إحدى الشقق بأحد الأحياء الشعبية كان ينام شاب
وسيم عاري الصدر نائم على ظهره ويمد ذراعه على وسادة

السريـر والذراع الآخر مثني وراء ظهره و تنام بجواره إحدى
فتيات الليل يتكرر هذا المشهد تقريبا يوميا مع أحمد ولا يقوى
أحد من الجيران على منعه أو مواجهته لسوء سلوكه.. تتوالى
الأحداث بنفس المشهد كل ليلة فتاة ليل تأتي وأخرى ترحل
ولا جديد بعد..

في نفس الشارع تقريبا كانت تقيم أسرة محترمة مكونة من
ثلاث أفراد (عامر) الأب (وهناء) الأم (وملك) الابنة فالزوج
كان يعمل بالخارج ولا يأتي لأسرته زيارة إلا شهر واحد بالسنة
أما عن هناء فكانت تبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عامًا تملك
محل إكسسوارات بسيط ولديهم طفلة جميلة تدعى ملك تبلغ
من العمر أربع سنوات.

كانت هناء كل يوم تستيقظ للعمل بمحلها وتصطحب
معهـا ابنتها وكان أحمد دائما ما يمر على ذلك المحل ويلقي
بنظره داخله ليتأمل بهناء ومن ثم يذهب إلى عمله.

إلى أن توالى الأيام وراء بعضها وجاء الخبر المشؤوم لهناء
بوفاة زوجها عامر بالخارج قامت هناء بإنهاء أوراق استلام
جثمان زوجها ومن ثم دفنه.

توالى الأسابيع إلى أن عاد وضع هناء إلى وضعه الطبيعي
وبدأت تعاود عملها بالمحل من جديد..

أخذ أحمد يمر من على المحل كل يوم إلى أن وجد هناء
ظهرت مرة أخرى له..

فهنا كانت على قدر عالٍ من الجمال.. لم يمر على وفاة
زوجها ما يقرب عام حتى بدأت تظهر نفسها في أبهى
ملابسها.. وتتفنن في إظهار مفاتنها الدفينة.. وبدأت الجيران
تلاحظ ذلك وتتهامس عليها.. فذلك التغير الذي قد جد
عليها لم يكن يظهر من قبل فدائمًا كانت مهملة في حق نفسها
بحكم غياب زوجها الطويل وخوفها من كلام الناس والقيـل
والقال.

الباب الأول..

بداية عشق...

بدأ أحمد يلاحظ ذلك التغير على هناء وبدأ تفكيره في
الانشغال بها وبجمالها ليلاً ونهاراً..

فمن الواضح أن ذلك المغرور قد وقع في مصيدة الحب
ومن الواضح أيضاً أنه مازال يملك جزءاً صغيراً ينبض في
ذلك القلب المتحجر يستطيع أن يحب به مثل بقية البشر.

وفي نهار أحد الأيام تجرأ أحمد ودخل على هناء بمحلها..

بدأ في التنحنح قائلاً: صباح الخير يا أم ملك

ردت:

- صباح النور. وآثار التعجب تملأ حاجبيها.

- كنت عاوز أخذ من وقتك دقائق.

- خير.. اتفضل.

وفي أثناء هذا الحوار الذي دار بينهم كانت الزبائن مستمرة في الدخول والخروج من المحل ولم يستطع أحمد وهناء إكمال حديثهما بالإضافة إلى أن الطفلة ملك كانت تصوير ضجة عالية كافية لعدم إعطاء فرصة لهناء بالحديث مع أحد.

عاود أحمد قائلاً: طيب واضح إني مش هعرف أكلّمك هنا ممكن تديني ورقة وقلم.

أخذت هناء دفتر المحل من الدرج وأحضرت ذلك القلم الملقى على مكتبها وأعطته إياه.. أخذ أحمد القلم وكتب على أعلى الدفتر رقم هاتفه ثم عاود قائلاً: ممكن تكلميني ضروري على الرقم ده..

ثم نظر إليها نظرة هائلة وذهب..

وفي المساء انصرفت هناء كالعادة وأغلقت باب محلها وصعدت بابتهاج النائمة على كتفها إلى بيتها.. وبعد انتهائها من العشاء وبعد أن كانت قد وضعت ملك بسريرها وأصبح الجو هادئاً أخذت هاتفها الذي قد سجلت عليه بالفعل رقم هاتف أحمد في الصباح.. في البداية كانت مترددة في الاتصال به ولكن في النهاية قد طلبته وما أن كتب الهاتف على شاشتها جاري الاتصال حتى رد سريعاً عليها:

- الوووو.
- اااااااااا.. أستاذ أحمد.
- أيوة.. أم ملك.
- وعرفت ازاي؟
- كنت عارف إني مش هنام قبل ما تكلميني.
- كنت قولتلى إنك عايزني ضروري... خير.
- ومالك داخلة عليا عالهامي كده ليه.. صبرك عليا أنا بس محتاج فرصة ووقت أقدر أقولك فيهم عالي أنا عاوزه ومش مطلوب منك أي حاجة غير بس تسمعيني.
- اتفضل قووول.
- يا ستي أنا اسمي أحمد عندي (٤١) سنة مش متجوز ومحبتش ولا مرة قبل كده بس تقريباً تقدرني تقولي عليا إني وقعت خلاص.. تصدقي بإيه يا أم ملك أنا عمري ما كنت أتخيل إني هيجي عليا يوم وتيجي جميلة الجميلات تخطف قلبي وتخليني أشوف اللجنة الثانية اللي كنت بسمع ناس كتير بتحككي عنها..
- حنة كده كنت هموت وأعرف شكلها إيه وبتتحس إزاي.. بس عيني من أول ما لمحتك بالمحل وأنا مش عارف قلبي ماله بس ولا عارف أنا م ولا عارف أشوف شغلي زي الناس.. انتي خطفتيني كده من غير سابق إنذار..

قال وأنا الي كانوا يقولوا عليا قلبي ميت مبيعرفش يحب
تيجي انتي وتصحيه.

- طيب بعد ده كله أنا مطلوب مني إيه.. على فكرة أنا
مش زي الي انت عرفتهم قبل كده في حياتك.. أنا عارفة
عنك كل حاجة أو زي ما تقول كده الشارع كله عارف عنك.

- بس انتي عمرك ما هتكوني شبه الي أنا عرفتهم قبلك.
- آسفة بس أنا أم وعندي بنت أخاف عليها من شخص
نزواتي زيك.

أغلق الهاتف عند ذلك الجملة التي خرجت من فمها
كالصاعق الكهربائي على أذني أحمد...

مر أكثر من ثلاثة أشهر على مكالمة أحمد وهناء ولم تتكرر
المحاولة مرة أخرى بينهم فقد كانت كلمات هناء في إنهاء
المكالمة مع أحمد كالسكين الحاد على قلبه.. ولكن بال أحمد ما
زال مشغولاً بها فكما نعرف أن (المنوع مرغوب).

كانت هناء مشغولة في هذه الفترة بتقديم أوراق ملك ابنتها
للمدرسة وأثناء عودتها من المدرسة فوجئت بتجمهر الجيران
وأناس كثيرين على زاوية شارعهم وأصوات متعالية بجملة
واحدة فقط (لا حول ولا قوة إلا بالله).

هناء في حالة من الذهول قائلة: في إيه؟ هو إيه الي حصل؟

قال أحد الجيران: الحقّي يا أم ملك بيتكم وقع.

كانت الكلمات كالصاعقة على مسمع هناء.. حملت ابنتها على ذراعها واتجهت مهرولة نحو منزلها تبكي وتصرخ قائلة:

- بيتي.. فلسوي.. أروح فين أنا دلوقتي.. أعمل إيه بس يا ربي..

وأخذت تنهار في البكاء إلى أن فقدت القدرة على الوقوف..

فبدأت بالجلوس على الأرض من شدة التعب بعد سماع خبر انهيار منزلها.. في هذه اللحظات حضرت النيابة لتحقيق في قضية انهيار المنزل القديم جدًا.

مرت ساعات على ذلك الانهيار وقد ذهب كل من الجيران إلى حاله وتركوا هناء على الأرض جالسة وفي حضنها تنام ابنتها ملك الصغيرة وما من أحد قد ساعدها بشيء سوى هذه الكلمات التي ما إن وقع الحادث كانت تنهار على مسمعها كالأمطار «لا حول ولا قوة إلا بالله» «ربنا يعينك يا بنتي»

وجيران آخرون يقولون: «ما تيجي يا أم ملك تدخل عندنا تغسلي وشك علشان البنت طيب».

ولكن صمت هناء استمر إلى أن جاء أحمد ليتجه نحو منزل هناء وهو يصيح: «إيه ده.. في إيه.. إيه إيلي حصل».

رد. أحد الجيران: بيت أم ملك وقع يا أحمد يابني.

- وهما فين دلوقتي؟

أشار له جارهم على مكانهما ليلتفت أحمد إلى يمينه
ليتفاجأ ببكاء هناء التي كانت تحمل ملك النائمة على كتفها..
انحنى أحمد وأخذ يمد يده إلى هناء لينهض بهما إلى أعلى
ثم قال:

- متخافيش أنا مش هسيبك

هناء وهي تمسح دموعها وتلتقط أنفاسها من شدة البكاء:
«إزاي يعني»

- هاخذك تعيشي عندي في شقتي.

- هعيش إزاي في شقتك وأنا مش مراتك.

- بس كده.. حاضر..

يصيح أحمد بصوت عالٍ ليجمع سكان الشارع:

- اشهدوا يا ناس الست دي من الساعة دي هتبقى مراقي..
ما حد يا جماعة بيعت يجيب لنا المأذون.

أخذ الجيران ينظرون لبعضهم البعض من خلال الشرفات
والنوافذ والواقفين في الشارع أيضًا في ذهول، ثم ردد أحدهم
قائلًا: اجري يا أدهم يا بني نادي على عمك الشيخ مكاوي

الي في الشارع الي وانا خليه يجي بسرعة واحنا الشهود
موجودين أهو.. وألف ألف مبروك يا أحمد يابني.

في حوار دار بين أحمد وهناء أثناء جلوسهم على أحد
المقاعد الموجودة أمام المحلات بالشارع:

- انتي كويسة.. ليه حاسس إنك مش مبسوطة من خبر
جوازنا.

- لأ مش قصة إني مش مبسوطة بس للي حصلي ده مش قليل
(بيتي.. ومحلي.. وفلوسي..) وماليش حد أنا مقطوعة من
شجرة..

بابا وماما ربنا يرحمهم ماتوا وسابولي البيت ده ورثي وأنا
وحيدتهم مجابوش غيري للدنيا حتى عامر جوزي أبو ملك
الله يرحمه مكانش ليه غير أخ واحد في الخليج أكبر منه في السن
وربنا يرحمه هو كمان ومش عارفة أعمل إيه بس ياربي.

- ازاي ما لكيش حد يا هناء أو مال أنا روح فين!

في الواقع أن معظم أهل الشارع كانوا يعرفون تاريخ أحمد غير
المشرف وكانت نظرهم الدائمة له التي كانت لا تتغير بسبب
تصرفاته الشهوانية مع النساء التي لا ينقطع قدمهم من منزله..
فقد كانوا لا يكونون له أي احترام ولكن منذ ذلك اللحظة
التي أعلن فيها موقفه النبيل وزواجه من هناء قد غيرت

مفهومهم تجاهه وأدركوا أنه مازال بداخله شيء من الشهامة والرجولة.

أحمد يصيح بصوت عالٍ: يا عم حمدي.. يا عم شوقي
تعالوا عايزكم دقيقة.

رد. عم حمدي المكوجي: عايز إيه يا سي أحمد.. خير؟

- تعالى يا عم حمدي وهات عم شوقي في إيدك انتم
النهاردة هتشهدوا على عقد جوازي من الست اللي تناقل
بالذهب دي.

يصيح أحمد مُهللاً: يا أهل الحارة أنا من النهاردة خلاص
هكون إنسان تاني أنا عارف إنه كل اللي في الحارة مبيحبونيش
من كتر عمايلي السودا اللي كنت بعملها لكن خلاص أنا
بقيت من النهاردة إنسان مسئول وقررت إني أنغير عشان
خاطر الست دي هي وبنتها دول خلاص بقوا في رقبتني.

أهل الحارة بصوت واحد عالٍ: ربنا يباركلك يا أحمد يا
بني ويسترها معاك دنيا وآخره

بعد دقائق حضر المأذون...

كان عم حمدي في هذه الأثناء قد جهز طاولة مستديرة
من داخل محله ووضع بجانبها ثلاث مقاعد خشبية وأجلس
حولها كلاً منهم أحمد يميناً وهناء يساراً والمأذون بالمنتصف.

وأخرج كل منهم بطاقتهم الشخصية ومعهم عم شوقي
أيضاً كشاهد ثاني على زواجهم ومعهم هناء فكانت بالطبع
تحمل في حقيبتها الخاصة بطاقتها الشخصية.

ردد المأذون كلماته المعروفة لإتمام عقد الزواج.. ومن ثم
قام أهل الحارة بالمباركة لهم وتعالّت أصوات الزغاريد من
نوافذ البيوت.. ثم قام أحمد وحاسب المأذون واتفق معه على
استلام عقد الزواج الأسبوع المقبل..

أخذ أحمد هناء من يدها وحملَ عنها ملك التي كانت ما
زالت نائمة وصعد بهم إلى شقته..

قام أحمد بفتح باب الشقة وأشعل زر الضوء ومرر هناء
للداخل واتجه يميناً لتلك الغرفة المقابلة لهم ووضع ملك
بسريها الجديد..

خرج أحمد على هناء بالصالة وقال لها وهو يمسك بيديها
الاثنين في يديه: من النهاردة الشقة دي بقت بتاعتك انتي
وملك وأنا من النهاردة ضيف شرف عليها..

في حالة من الصمت تكسو ملامح هناء: أنا مش لاقية
كلام أقوله.

- شششششششش.. متقوليش حاجة انتي النهاردة تسمعييني
وأنا بتكلم وبس.. انتي من الليلة دي بقيتي أميرة قلبي وحب
عمري أنا عايز أعترفلك إني حبيتك من أول نظرة وإني مكتتش

أصدق إن الأقدار تلعب لعبتها وتكوني ليا بالسرعة دي بس
واضح إن ربنا كتبلي الهداية على إيديكي وخلاكي انتي تكوني
السبب فيها.

- أنا كمان حبيتك من أول نظرة بس خوفي من ربنا وكلام
الناس هو اللي خلاني بعدت عنك واضطريت أكتم حُبك
جوة قلبي بس أنا مانكرش إني طلبتك من ربنا في صلاتي
إنه يجعلك حلالي في يوم من الأيام.. بس واضح زي ما أنت
قولت إن دي لعبة الأقدار وإن اللي ربنا عاوزه هو اللي بيكون.
ابتسم أحمد وأخذ يقبل رأسها ويديها ثم احتضنها بقوة
وهمس في أذنها (بحبك)....

الباب الثاني

صعوبة القدر...

مرت الأيام والشهور والسنين على زواجهما وكانت الحياة
تسير بكل ما هو جميل بالنسبة لقصة حبهما
كبرت ملك وأصبحت فتاة كاملة الأنوثة وكانت تعتبر
أحمد الأب الذي قد عوضها الله به..

في نهار يوم جديد خرجت هناء لشراء مستلزمات السوق
الخاصة بها وتركت ملك نائمة بغرفتها وأحمد أيضًا في غرفته
نائم ولكن واضح أن ذلك الماكر كان يفتعل حالة نائم أمامها
فقط حتى ينفذ مخططه الشيطاني.

أخذ أحمد ينهض من سريره وهو يخطو خطوات خفيفة
بطيئة ليتفحص الحال بالخارج ليطمئن قلبه بأن أصبح المكان
خاليًا له هو وشيطانه..

وسرعان ما أن تأكد من هدوء المكان خارج غرفته ليتجه مسرعًا كالمجنون إلى غرفة ملك وقام بإغلاق الغرفة من الداخل وأخذ يقترب ويقترب من ملك.. فأخذ يتحسس ملامحها البريئة ويتغزل بها..

ومن ثم هجم عليها كفريسة تحت يديه ليقوم بقتل براءة تلك المسكينة..

في هذا الوضع أخذت ملك تقاوم ذلك الوغد وتصرخ بصوت عالٍ..

ارتعب احمد وارتبك من سماع الجيران لاستغاثة تلك المسكينة فقام بوضع يده على فمها وما أن أنهى مهمته الشيطانية اللعينة حتى وجد ملك قد فارقت الحياة فقد انتهت أنفاسها أثناء إنهاء مهمته الشريرة معها.

ابتل وجه أحمد وصار لونه شاحبا فنهض مهرولاً من فوقها ورجع للخلف وهو ينظر إليها فقام بإعادة كل شيء كما كان.. وقام بتعديل وضعية ملك على سريرها وكأن شيئاً لم يكن ثم خرج من غرفتها وهو يتلفت خارجاً وعندما تأكد أن هناء زوجته لم تأت حتى الآن أسرع إلى غرفته وأغلق الباب عليه جيداً واصطنع حاله نائم بسريره.. وكأن شيئاً لم يكن.

سمع أحمد صوت غلق باب الشقة.. فمن الواضح أن هناء قد عادت من الخارج..

أغمض أحمد عينيه وافتعل حاله نائم.. في هذه الأثناء
كانت هناء تقوم بفتح نوافذ الشقة لتجعل الشمس تمر إلى
الداخل كعادتها اليومية..

ثم اتجهت إلى غرفتها النائم بها أحمد لتوقظه حتى تعد له
الفطور.

- أحمد ياللا قوم ياللا أنا جيت الفطار وهدخل أحضره
بالمطبخ على ما أنت ما تكون قومت ودخلت الحمام وغسلت
وشك..

يا أحمد.. هي ملك صحيت طيب.. ولا شكلها لسه نائمة
هي كمان زيك.

- طيب صحيتها على ما أغسل وشي وأدخل الحمام.

- لأ صحيتها إنت أنا مش فاضية بحضر الفطار.

اتجه أحمد من غرفته ثم صوب نظره على هناء فكانت
تقف بالمطبخ وتعطيه ظهرها.

بدأ أحمد في ابتلاع ريقه وأخذ يفتح باب غرفة ملك وينادي
عليها من على باب الغرفة.

- ملك.. ياللا يا بابا ماما جابت الفطار اصحي ياللا.

ثم اتجه إلى الحمام وتأخر بالداخل حوالي خمس دقائق ثم خرج ليلقي نظرة على هناء التي كانت قد جهزت طاولة الطعام فسألها وهو يمسح وجهه المبلل بالمنشفة:

- هي ملك كل ده مصحيتش بردو.

- مش عارفة مالها النهاردة كده أنا هدخل أصحيتها أنا.

اتجهت هناء إلى غرفة ابنتها وإلى ذلك الوقت كان الوضع طبيعياً ولا يوجد أي شيء يدل على وفاة ملك..

اقتربت هناء من سرير ملك وجلست بجوارها توقظها بيدها صائحة:

- ملك.. ملك.. ياللا يا حبييتي أنا حضرت الفطار.

فإذا بملك لا تنطق.. ووجهها لونه شاحب وشفتيها صار لونها أزرق ويدها مثل الثلجة..

فأخذت والدتها تهز فيها وترفعها إلى أعلى ولكن ملك كانت لا ترد أخذت هناء تصرخ:

- يا أحمد.. يا أحمد الحقني مش عارفة ملك مالها!

أسرع أحمد وهو مصفر الوجه وهو يقطع في الكلام:

- مالها فيها إيه؟

- مش عارفة مالها مبردش عليا ليه!

ولكن في هذه الأثناء لاحظت هناء بعينها على صدر
ملك علامات عنف مما يدل على محاوله أحد افتراس جسدها
وبقلب الأم كما نعلم ذهب عقلها إلى أحمد لتتظر إليه وهي
تحقق به ليصبح أحمد قائلاً:

- انتي بتبصيلي كده ليه!

- لا أبداً..

ثم شردت بفكرة في عقلها ثم عاودت الكلام قائلة:

- هي شكلها مغمى عليها أصلها إمبراح طول اليوم
ماكلتش حاجة وممكن يكون جاهها هبوط وهي نايمة أنا
هقوم أعملها كوباية مايه بسكر.

- أأاه.. أأاه.. امليها ماية بسكر... وأنا هخلي بالي منها..
متقلقيش.. هي مغمى عليها..

ذهبت هناء إلى المطبخ وأخذت عصا فرد العجين الخاصة
بها واتجهت إلى غرفة ملك..

في هذه الأثناء كان يجلس أحمد على طرف السرير وظهره
لباب الغرفة لتهاجم عليه هناء بضربة يدها من أعلى إلى أسفل
على رأسه ليقع أحمد مغشياً عليه....

الباب الثالث...

انتقام أم...

لا أعلم من أين أتت هناء بهذه القوة المضاعفة في هذا التوقيت.. ومن أين جاء لها هذا الصبر والصمت.. ولكن من الواضح أنها قوة (الانتقام).

قامت هناء بسحب أحمد من عالارض إلى خارج الغرفة متجهة به إلى الحمام ثم قامت بحمله من قدميه لتضعه في حوض الاستحمام ثم ذهبت مسرعة إلى الخارج واتجهت الى المطبخ وفتحت درج الخزانة وأحضرت ذلك الحبل الملفوف وسكين كبير حاد حتى تقوم بتكتيف أحمد به لتشل حركته عندما يفيق ثم أحضرت مقعدا بجواره وجلست عليه وانتظرته حتى استرد وعيه..

عاد أحمد إلى وعيه ليجد نفسه ملقى داخل حوض
الاستحمام مقيد اليدين والقدمين فنظر إلى هناء وهو يحاول
تجميع كلماته:

- هناء.. اسمعيني انتي ليه مكتفاني كده.

هناء كانت تحمل ذلك السكين الكبير الحاد..

في نظرة رعب وانتقام.. أخذت تقطع له إصبعه الكبير
بيده اليمنى..

ليصير أحمد صارخاً.. خرجت هناء في لمح البصر وأخذت
تشعل التلفاز على أعلى صوت ومن ثم الراديو.. وقامت
بإغلاق جميع النوافذ المفتوحة أيضاً..

ثم عادت مسرعة إليه قائلة:

- ليه.. عملت كده ليه!

- أنا معملتش حاجة صدقيني.. انتي فاهمة غلط.

أخذت هناء من غيظها تقطع له إصبعه الثاني من يده
اليسرى ثم عاودت قائلة:

- عملت في بنتي كده ليه.

- صدقيني معملتش حاجة.. الحقووني هموت!!

أخذ أحمد يستغيث بالجيران.. في هذا الوقت كان الدم يسيل منه داخل الحوض كماء الصنبور المفتوح.

أخذت هناء قدميه ناحيتها ثم قامت بقطع إصبعه الكبير الأول ومن ثم الثاني من قدمه حتى انتهت من جميع أصابعه يداً وقدمًا..

بدأ أحمد في فقدان وعيه وهو يتمتم بكلماته هذه:

- أبوس إيدك مش قادر قلبي هيقف.. آسف معلش الشيطان غواني.

صرخت هناء بعينها الجاحظتين المملوئتين بنظرات الشر والانتقام:

- معلش...!!!

اغتصبت بنتي وبتقولي معلش...!!

كتمت نفسها وموتها وبتقولي معلش...!!

ثم رفعت السكين لأعلى بصرخات هستيرية وفصلت ذراعيه ومن ثم رقبته وقامت بفصل البقية عن بعضها ليتحول الحمام إلى ساحة من الدماء.

عندما انتهت هناء من تقطيعه إلى أجزاء أخذت تصيح بضحكات هستيرية متقطعة:

- أخذت بتارك يا ملك ...

قتلته ...

ثم عادت للبكاء وهي تحدث نفسها:

- سأمحيني يا بنتي معرفتش أحميكي

ثم خرجت للجيران ويديها وملابسها ووجهها ممتليان
بالدماء لتصرخ بأعلى صوتها:

- أخذت بتارك يا ملك يا بنتي يا حبيبتى .. قتلته زي ما قتلك

أخذ الجيران يتسارعون بالدخول إلى الداخل وهم في حالة
تعجب ليجدوا أحمد بالحمام مقطوع إلى أجزاء فقد كان المشهد
تقشعر له الأبدان وبالعرفة كانت ملك نائمة كالملاك النائم
مفارقة للحياة.

اتصل أحدهم بالشرطة ليستدعيها.

جاءت الشرطة إلى موقع الحادث وتحفظت على هناء لمدة
أسبوعين على ذمة التحقيق .. وانتظار تقارير الطب الشرعي
الجنائي لتحويل القضية إلى المحكمة.

وقد كان قرار المحكمة كالآتي:

حكمت المحكمة حضورياً على المتهمه هناء بالسجن لمدة
عشر سنوات في قضية الدفاع عن الشرف مع الشغل والنفاذ..

رفعت الجلسة

ولكن كان من الواضح أن هناء قد فقدت عقلها مع موت
ابنتها فقامت المحكمة بتحويل هناء إلى مستشفى الأمراض
العقلية لتوضع تحت المراقبة المشددة.

لتكون هذه هي...

النهاية.....

لَسْتُ وَحْدُكَ

أنا أدمن عشق هذا الرجل... إنه ملاكي الذي أهداني
الله إياه.. هديتي في هذه الحياة.. ترنيمتي ولحني في الغناء..
عذابي عند اشتياقي له يعني لي الكثير والكثير... كلمة
أحبك منه تجعلني أرتفع من أرض الواقع لأعلمو معه إلى
سما الخيال.. إنه إنسان بسيط ومتواضع في وسامته ومتألق
في مظهره... مفتونة به أنا.. إنه عشقي في الحياة.. هو من
جعلني أعجب به وجعلني أشعر أنني محظوظة في أن أكون
أنا من أنول إعجابه وان أكون أنا ابنة قلبه.. فأنا لا أتصور
أبدًا أن يختفي ولو لوقت قصير بعيدًا عني.. أشعر وكأن
قلبي يتوقف عن دقاته.. ويتوقف جهاز التنفسي رويدًا
رويدًا.. إنه طيب جدًا لدرجة نقاء الماء العذب.. وكريم
جداً لدرجة السخاء... ومتسامح لدرجة تجعلك تظن أنه
ملاك وليس بشر..

لا أكره أن أكون له مطيعة لأوامره.. فهو بالنسبة لي
يشغل المحور الرئيسي لحياتي فهو سيد قلبي ورئيس
عقلي... مع إنه في الحقيقة لا يقوم بإصدار أي أوامر ولكنني
أعتبر رغباته وأمنيته أمر يجب تنفيذه... ولا شك أبدًا في
أن طباعه الطيبة هذه جعلتني مهووسة بحبه.. وفي الوقت
نفسه لا أنكر أنه هناك صعوبات قد مررنا بها واختلفنا
وتشاجرنا ولكننا في النهاية تصالحنا... إن أنفاسه تعطر
حياتي وتدفع جدران قلبي... ووجوده بجانبني يبعث على

وجهي البهجة والسعادة.. فهو أمان وسندي.. هو سر
توازني في هذه الحياة.. بعد روحي.

باختصار هو سري وسبب وجود معني لحياتي..

إنه الرجل.. إنه الحماية.. إنه الأمان.. إنه الحنان.. إنه
حبيبي.

أنا أنثى حقيقية مكتملة الأنوثة والجمال ولكن حبه لي
جعلني أشعر بأنني ملكة جمال هذا الكون.. لا أنكر إعجاب
الكثير، من الرجال حولي.. ولكن إعجابهم هذا لا يشغلني..
فأنا في النهاية فزت بقلب أميري..

البداية

أنا (ريم) أقيم في إحدى المناطق الراقية بالبلدة. أعيش مع أبي أستاذ عبد الرحيم موظف بإحدى الهيئات الحكومية وأمي مدام زينات ربة منزل وأخواتي الثلاثة (رباب) و (رانيا) و (رامي)

أكبرنا (رباب) ويليها (رانيا) وأوسطهم أنا ومن ثم أصغرنا (رامي).

جميلة جدًا لدرجة تلفت انتباه كل من يراني... أصبح عمري الآن ثمانية عشر عاما، بالطبع الكل يعلم حلاوة تلك الفترة من العمر وخصوصًا للإناث... دائمًا أبي ما كان يلقبني بالفاشلة.. وذلك لأنني رسبت عامين على التوالي بالثانوية العامة.. سببت لي هذه الكربة تدهورا في حالتي الصحية والنفسية.. بدأت أنعزل في غرفتي بعيدًا عن كل من حولي.. فهو اجسي كانت لا تتركني أرتاح أبدًا..

أصبحت غرفتي .. هي ديتي ... أو كما تقول أمي وأبي وأخواتي أنها أصبحت سجنني .. دائماً ما كانوا أخواتي يحاولون إخراجي من حياتي الكثيبة هذه .. إلا إنني كنت دائماً أصرخ بوجوهم قائلة اتركوني وشأني.

كانت غرفتي قديمة بالنسبة لشكل الجدران نوعاً ما ... حتى شرفتي كانت أخشابها غير متساوية ... كان فراشي يوجد بمنتصف الغرفة وبقية الأسرة الخاصة بإخوتي البنات على جانبي الجدران ... وخزانة خشبية قديمة تنتصف الحائط أمام فراشي حتى إن محتوياتها من الملابس كانت لا تصلح للاستخدام نهائياً ومع ذلك كان أمرا واجبا تنفيذه علينا أنا وأخواتي البنات أن نرتديهم بدون مناقشة .. كانت ملابس تدل على أعمار تفوق أعمارنا أضعاف ...

أما عن أخي (رامي) فكانت له غرفة خاصة به وكان حجمها صغيراً جداً .. بحكم أنه سيصبح شاباً في يوم من الأيام .. كانت هناك لوحة محاطة بإطار ذهبي اللون فوق فراشي .. مرسوم بداخلها عصفور صغير محبوس داخل قفص أخضر اللون يقف عند بابه محاولاً الهروب من هذا القفص ...

دائماً ما كنت أشعر أن ذلك العصفور هو أنا .. فأبي وأمي دائماً ما يحاوطون علي بحجة أنني جميلة ولا يجوز خروجي بكثرة ولا ظهوري خارج المنزل باستمرار متكرر حتى لا

تلاحظني أعين الناظرين بالخارج.. وكأن جمالي هذا أصبح سر
تعاسي... فلا أعلم على ماذا يعاقبني أبي؟

أليس الله جميل يحب الجمال؟

وإذا كان جمالي هذا يحتسب ذنبا بالنسبة لهم.. فلماذا خلقتني
الله إذا جميلة...؟

أسئلة كثيرة تجول بذهني وخاطري ولا أجد لها مخرجا
واحدا للإجابة... دائماً ما كانوا أخواتي الإناث ما يغارن مني
بسبب جمالي هذا... ويجلسن ينظرن لي ويتعمقون بملاححي
ودائماً ما يتهاMSN بينهن وبين بعضهن على انسيابية شعري..
وحُسن جمال ولون عيني...

لدرجة أننا أثناء تشاجرنا في أي مرة.. يتهمونني بأنني
لستُ أختهم.. لأنني لا أشبههم شكلاً ولا صفات...

أخذت أفكر ما هذا الذي أصابني... هل سأعيش بقية
عمري هكذا أسيرة لهذه الأسرة التعيسة المشعة بالإحباط
إلى صدري وعقلي فوجدت نفسي أهم من فراشي وأتجه إلى
شرفتي لأشعر بقليل من الأمل.. فشرفتي كانت بالدور
العلوي وكانت قريبة من مشاهدة السماء ونجومها المضيئة...
فوضعت وشاحي على كتفي وأخذتُ أحلق بناظري إلى السماء
وأأمل في جمال خلقك يا الله.. كم هي جميلة الحياة بالخارج..
وكم هي تعيسة حياتي هنا معهم بالداخل...

وأثناء إطالتي النظر إلى سماء الخالق.. وجدتُ روحي تراح
وأنفاسي تعود إلى جسدي... وقررت أن أكمل دراستي.. فلا
شيء سيسندني بهذه الحياة إلا دراستي وشهادتي...

سأعود من جديد إلى صديقاتي.. سأجتهد حتى أستطيع أن
أكون شيئاً.. بدلاً من أن أكون لا شيء..

وبدأت أحدث ربي وأناجيهِ باكية (يا الله أنا لم أعش سنين
العمر الجميلة التي يتحدثون عنها.. عوضني يا الله.. وأنر
بصيرتي بنور علمك.. وأنر قلبي برضاك عني.. وكن دائماً
عوناً لي وسند.. فليس لي سواك يا الله)

قررت أن أولد للحياة من جديد وأن كل الذي مضى لا
يحتسب من عمري أنا.. بل يحتسب من عمر فتاة أخرى أتت
للحياة ثم أعلنت وفاتها ورحلت...

كان يوجد أمام شرفتي شرفة مقابلة أعتقد أنها شرفة
مهجورة.. فإذا بي ألح خيالاً لأحدهم وراء زجاج هذه الشرفة
فهناك ضوء خافت يعكس الحركة من وراء الزجاج. من
الواضح أنه خيال لرجل.. وليست امرأة...

كان دائماً باب هذه الشرفة موصداً قليلاً وليس مغلقاً
بالكامل... بحيث إذا وقف من خلفه أحدهم تراه من خلال
شرفتي المقابلة..

بدأت أنا بالرجوع الى الوراء لأدقق النظر.. يا ترى من
يكون هذا؟

ولكنني للأسف لم أستطع الوصول لشيء فقد اختفى ذلك
الخيال بدون أن ألمح من يكون هو؟

الباب الأول

من هنا تبدأ الحكاية.....

كان أبي رجلاً متوسط الحال لا يهوى الحياة الاجتماعية المختلطة... كان متعصباً جداً في كل شيء حتى الدروس الخصوصية.. كان دائماً ما يردد... أنا نجحت في دراستي بالماضي بدون دروس... إذاً فعليكم أنتم أيضاً أن تكونوا مثلي تتفوقون بدون دروس مثلي...

أما عن الأم كانت امرأة جميلة... في الخمسين من عمرها.. لا تفهم ما هو معنى الاحتواء لأبنائها.. ولا معنى أن تكون صديقة لهم وقت الشدة قبل وقت الفرح... وخصوصاً في أهم مراحلهم العمرية...

أتى صباح يوم جديد بإشراقته الشمسية على غرفتي كالعادة... وصوت العصافير على حافة الشرفة أجمل مما يكون

فلزقزقتهم ملمس روحاني على أذني.. ربما تكون تلك الشرفة هي الشيء الوحيد الذي يحسن المزاج بهذا المنزل.

تحدثت مع أبي في طلبي وهو تكملة الطريق بالنسبة للشهادة الخاصة بي للثانوية العامة.. فكان رده علي بأنها ستكون هذه آخر فرصة وآخر محاولة..

فعاهدته بأنني أستطيع أن أستغل هذه الفرصة وهذه المحاولة بأن أصل من خلالها إلى هدفي.. وأنني سأشرفه وأجعله يتباهى بي أمام أقاربنا وجيراننا ومعارفنا...

فاتحضنني أبي وهو يهمس لي قائلاً.. لك ما تشائين يا صغيرتي... فالمهم أن تكوني بأفضل حال فأنا لم أر هذه اللمعة بعينيك ولا هذه الفرحة التي ترسم وجهك منذ فترة ليست بقليلة من الزمن...

إذا كان هذا الطلب هو الذي أدخل السرور إلى قلبك هكذا.. فلك ما تشائين..

ففرحت أُمي وباركت لي وقالت: أنا لن أتنازل عن مجموع لكلية الطب..

فوعدتني بأنني سأفعل ما أستطيع من جهد حتى أجعلها راضية عني وبالطبع كان لأخواتي البنات نفس نظرة السخرية بأعينهم وكأنهن يتحدثن إلي من خلال أعينهن قائلين ستظلين

هكذا طوال العمر فاشلة ولن تفوزي بأي شيء من هذه الحياة
سوى لقب جميلة الذي ستدفنين به...

مع العلم أن أخواتي البنات الاثنتين حاصلتين على شهادة
متوسطة.. لذلك كانتا لا يتمنيان لي الخير أو أن أسبقهم في
المستوى التعليمي..

الباب الثاني....

ومن هنا بدأ التحدي....

بالفعل بدأت في التحمس وبدأت أغير وضعية المكتب
الموجود بالخارج في منتصف الصالة وجعلته تحت النافذة
مباشرة...

وأخذتُ أرص كتبي ودفاتري... وبدأت في القراءة حتى
استطعت أن أسترجع من ذاكرتي ما ذاكرته من قبل..

وكان فضل الله علي كبيرًا.. فهذه المرة قد أدخل الله إلى عقلي
خزائني المعلوماتية من الدراسة التي قد ذاكرتها سابقاً وتقريباً
قد حفظت المنهج الدراسي هذه المرة مثل اسمي تماماً.

وتوالى الأيام والشهور.....

وجاء موعد الامتحان...

ووفقني الله في المادة الأولى ثم الثانية... حتى نهاية آخر مادة.. وكان الله دائماً معي... أعطاني من فضله... فقد كان يعلم كم أنا هرمت في هذه السنة التي أخذت من وقتي وصحتي وجهدي... وكم كانت نيتي هذه المرة نية صادقة. أخيراً...

أخذتُ هُدنة من معركة الامتحانات وحرب المذاكرة والمعلومات المتراكمة التي ملأت رأسي...

كانت أخواتي رباب ورانيا ماهرين في وظائف المنزل مع والدي.. أما أنا كانت هوايتي القراءة والكتابة والتأمل في طبيعة الكون الساحرة...

وحان موعد الغداء. وحضر أبي إلى المنزل.. أعددتنا طاولة الغداء وجلسنا نشارك الطعام جميعاً إلا أخي الصغير رامي فهو كان يعشق لعب الكرة أسفل العقار.. فكان من عادتنا تناول نحن الطعام وهو عندما يفرغ من لعبته يصعد لتناول الطعام وحده... فهو كان المدلل لأبي وأمي وإخوتي بحكم أنه الولد الوحيد الذي أتى بعد شوقه مع ثلاث إناث

جلست بعد الاستراحة بمنتصف اليوم مع أبي وأمي. فقد كان إخوتي من هواة القيلولة النهارية..

فكنت أشاهد مع أبي التلفاز ونحتسي الشاي من يد أمي .. وأخذت أقترح عليه أن يعطيني هذه الغرفة المغلقة التي تحتوي على خردة قديمة داخل منزلنا والمجاورة لغرفة إخوتي ... وبعد نقاش طال لمدة نصف ساعة ... وافق أبي وقال لي: ولكن عليك أنتِ إخراج ما بها فوالدتك تعبte وأنا أيضاً ... ولا تطلبي من إخوتك شيئاً حتى لا يصير جدالاً بينكم ... فأنتم دائماً ما تتشاجرون على أتفه الأسباب.

فقلت له .. حاضري يا أبي ولك ما طلبت

وبالفعل بدأتُ في فتح الغرفة والتي كُنت دائماً ما أطلق عليها أنا وأخواتي فيما بيننا غُرفة العفاريـت والأشباح .. من كثرة ما كانت مغلقة لا تعرف للتهوية شيئاً ..

كانت مُظلمة جداً تفوح منها رائحة الأماكن المغلقة العطنة .. رائحة تشبه الأشياء العفنة ... ولا يوجد بها مكان لوضع الأقدام.

فكانت أمي وأبي كلما انتهى صلاحية أي شيء أو انتهى عمره الافتراضي .. كانوا دائماً ما يقومون بوضعه فوق ما سبقه في هذه الغرفة إلى أن تراكمت الى هذا الشكل الذي أمامي ... بدأت أفتح باب المنزل على مصراعيه وأقوم بجر الأشياء واحدة تلو الأخرى حتى كدت أن ينقطع نفسي ..

وأخيرًا قد انتهيت من إفراغ الغرفة مما كانت تحتويه.. في هذه الأثناء قد طلب أبي عم عطية حارس العقار...

لينقل الأشياء إلى تاجر الخردة وبيعهم إليه...

أخذ إخوتي في الاستفاقة من غفلتهم... وبدأوا يمرون بأنظارهم على غرفتي الجديدة..

حتى قالت لي أختي رباب... خير إن شاء الله... هل نويت الانعزال عنا..

فقلت لها.. حتى أستطيع المذاكرة عندما يريد الله أن يدخلني الجامعة.

فقالت رانيا: وماذا عن فراشك بغرفتنا.

فقلت لها.. سوف أصطحبه إلى غرفتي هذه.

فقالت رباب.. إذن لا تحاولي طلب المساعدة منا.. فنحن سنكتفي بالمشاهدة فقط

نظفت الجدران ثم النافذة.. ثم سكبت الماء وأخيرًا أتممت آخر خطوة في تنظيف الغرفة.

فذهبت بالخارج لأبي وطلبت منه إعطائي بعض المال لشراء لون دهان للحائط حتى أستطيع أن أجلس بهذه الغرفة القديمة..

فضحك أبي ثم قال لي .. وهل تستطيعين دهانها بنفسك ..
فقلت له .. نعم يا أبي. فسوف أحاول.

فوافق أبي وذهب هو واشترى لي ما يكفيني من معلبات
الدهان من اللون المفضل لي وهو اللون الوردى .. فهو مريح
جدا للأعصاب وأيضا لون أنثوي ..

دخلت إلى غرفتي واصطحبت السلم الخشبي من الشرفة
الخارجية وبدأت في رحلة الطلاء .. لا أنكر الأمر أنني لا أفقه
في قصة الدهان هذا شيئا .. وماذا علي بفعله .. ولكنني كنت كما
أردت أن أستقل بذاتي ...

أنهيت جدار تلو الآخر حتى أكملت دهان الغرفة إلى أن
تبقى سقف الغرفة فاستأذنت أبي أن يساعدني في طلائه حيث
أنني قصيرة القامة .. ولكنه هو يملك قدرا كافيا من الطول ..
أخذ أبي يدهن السقف خطوة خطوة وهو يغني مع نفسه
بعض المقاطع لأم كلثوم .. واضح أنه كان سعيدا بهذا التغيير ..
وأخيرا انتهينا من كل الغرفة والنافذة أيضًا ..

فنقلتُ سريري من غرفة إخوتي .. إلى غرفتي الجديدة ..
وأخذتُ بعضا من ملابسِي وضعتها بطريقة مُرتبة داخل
صندوق كان من ضمن الأشياء غير المستخدمة .. الآن
أصبحتُ الغرفة تُعيد لي الأمل وتدخل البهجة إلى نفسي ..

وكان قد حل المساء.. قامت أمي بتجهيز العشاء وأخذت
أتحدث أنا وأبي عن النتيجة وموعدها... وأنه يريدني أن أحصل
على مجموع يجعله يفتخر بي...

فقلت له.. ما يريد الله هو ما سيكون... لقد فعلت أنا ما
علي فعله والباقي على الله.

فضحكت أمي وقالت.. أريد أن أصير أمًا لطيفة...

قلت لها... أتمنى من الله يا أمي.. فهو على كل شيء قدير.

الباب الثالث.....

مرت الأيام والليالي... حتى جاء موعد النتيجة كانت
أعصابنا أنا وأبي وأمي على نار..

قام أبي باصطحابي إلى المدرسة وأعطيت مشرف الدور رقم
الجلوس الخاص بي... وأخذ المشرف في البحث عن اسمي
لديه

في تلك القائمة الطويلة التي لا تحصى من كثرة ما تحمل
من أسماء كثيرة...

فقال لأبي.. للأسف اسم ابنتك ليس هنا لدي.

فقلق أبي.. وقال ولكن كيف هذا.. هل هي من الراسيين؟؟

قال له.. لا فالراسيين قد ظهرت نتيجتهم أيضا.

فقال أبي.. ولكن ماذا سيكون.. وما تفسير عدم وجود
اسمها؟

فقال له.. انتظري هنا سأتوجه لمكتب مدير المدرسة..
وسأعود لك بالرد.

وأثناء غياب مشرف الدور.. أحسست برغبة شديدة في
البكاء.. فأنا لم أحتمل أبدا تلك النظرات التي يقذفني بها أبي
من اتهام باطل في فشلي هذه المرة...
فقلت له... أبي أنا أجبت كل الإجابات.. ومتأكدة من تمام
إجابتي...

فقال أبي... سنرى الآن يا ريم.. ماذا نجبئ لنا القدر.
وأخيراً بعدما كنا قد فقدنا أعصابنا.. جاء مشرف الدور
ومعه المدير...

ثم ألقى المدير التحية على أبي:

- مساء الخير أستاذي العزيز.

فقال أبي: مساء الخير حضرة المدير... لماذا لم أستطيع أن
أجد اسم ابنتي ريم في قائمة أسماء الناجحين بالدور الأول.
فرد المدير.... لحصول ابنتك ريم على المركز الثاني على
إدارة المدرسة..

فإذا بأبي يبكي من شدة وهول الخبر.. واحتضنني وقال لي
مبروك يا ريم.. أخيراً.. أخيراً أفرحتيني.. أخيراً فعلتيها يا
ابنتي..

إن شاء الله... كلية الطب كما قالت والدتك..

ثم شكر المدير ومشرف الدور وقاموا هما أيضًا بتهنئتي أنا وأبي
وأثناء تنزهي مع أبي للذهاب إلى المنزل.. تذكرت كم من
عمر ضاع ولكن الله كان لا يريد لي أن أنجح في دراستي وأن
لكل تأخيرة خيرة...

وكل شيء فعلا بأوانه. لا أنكر الأمر في الحقيقة لقد اختفت
كل دموعي بل تبخرت فقلبي يرقص فرحًا.. وعيني أصبحت
فجأة جافة...

وصلنا أخيرًا إلى منزلي.. فإذا بأمي تنتظرنني هي وأخواتي
بشرفة المنزل.. صعدنا وهي واقفة والفضول يقتل عينيها...
فهى لم تستطع الانتظار إلى أن ندق الباب...

ثم قالت.. أخبروني... هل نجحت؟

فقال لها أبي... افرحي بابنتك يا أم رباب... فقد صارت
طبيبة كما أردت..

فأخذت أمي تزغرد وتبكي وتصيح بأعلى صوت لها...
كم أنت كريم يا رب.

اللهم لك الحمد... مبروك يا ريم يا ابتني... احتضنتني
بقوة... ثم قبلتني بقوة أكبر.. وقالت لي.. شرفتييني أنا
ووالدك وإخوتك يا حبيبتني...

ثم نادى على أخواتي وقالت لهم.. هنيئوا أختكم ريم...
وافرحوا لها.. فقبلوني إخواني.. ولكن لا أنكر الأمر فتقبلتهم
وأحضانهم لم تكن كمثلى حزن وقبلة أبي وأمي.. لا أعلم لماذا
هم هكذا...

أما عن أخي رامي فكان لا يفقه شيئاً... هو فقط يتأثر
كمثلى بقية الأطفال بنا.. فإذا فرحنا.. يفرح معنا..
وإذا حزنا.. يحزن معنا..

مرت هذا اليوم بسلام عابر... وجاء المساء.. فتوجهت إلى
غرفتي لأستريح وأغلقت باب غرفتي وتوجهت للنافذة حتى
أتحدث كعادتي إلى الله... وأقوم بمناجاته..

كم كانت النجوم صافية في بريقها.. والسحب تمر كسفينة
عابرة داخل نهر صافٍ... ولون السماء ككحل العينين القاتم
الداكن...

فأخذت أتمتم داخل نفسي بحديث خاص سري وأنا مطلعة
إلى السماء.. اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم
سلطانك... كم أنت عفوك كريم وكم أنت عظيم.. كم
أنت جابر للقلوب وجابر للخواطر... أحبك ربي.. وأحب
كرمك.. وأحب عفوك.. وأحب عطفك علي..

بدأت بإنزال بصري.. لأجد تلك الخيال يقف أمامي
بالنافذة المقابلة لنا فذتي... ترى من يكون هذا الشخص...

أيعقل أن يكون هذا شبحاً... لا أنكر خفقان قلبي أثناء هذه اللحظة.. ولكن أنا ما عاد شيء يرهبنني من الآن...

لم أكرث داخل ذهني هذا الأمر كثيراً.. بل قصدت أن أتغافل عنه.. حتى لا يعكر صفو تفكيري عن خطوتي القادمة وهي تعتبر أهم خطوة في حياتي..

خطوة تنسيق الجامعات... فسوف يصطحبني أبي لملء الاستمارات الخاصة بتقديم جامعتي التي تمنيتها.

أتى اليوم التالي بشمسهِ ونهارهِ الجديد.. وبدأت أنا في الاستعداد لمهمتي... ألقيت صباحي على والدي وأمي وتناولت فطوري معهم وأسرعت إلى غرفتي لأستبدل ملابسِي.. وفي هذه الأثناء كان أبي يجهز أوراقِي المطلوبة...

خرجت إلى والدي مرة أخرى وأخذت أمي ترقيني بآيات قصيرة وأدعية مباركة... ومن ثم انطلقنا إلى مكتب التنسيق..

وبالفعل قد وصلنا وانتظرنا دورنا.. واضح أنه يوم شاق وطويل يحتاج لاحتساء بعض القهوة أو الشاي.. فاستأذنت أبي وذهبت لإحضار كوبين من الشاي الساخن من كافيتريا المكان.. إلى أن جاء دورنا... فأخذنا أوراق الاستمارات وقمنا بوضع الطابع عليها.. ومن ثم أخذ أبي البدء في كتابة رغبتنا الأولى.. كلية الطب ومن ثم كلية الصيدلة.. ومن ثم الهندسة ومن ثم الإعلام...

وسلمنا الأوراق وانتظرنا الرد البريدي الذي سوف يصل
إلينا في منزلنا في خلال أيام... وانطلقنا عائدين إلى المنزل.

وفي طريقنا تحدثت مع والدي في عدة أمور وكان أهمها أنني
أرغب في شراء بعض الملابس للذهاب بها إلى الجامعة.. وأيضاً
أتنزه قليلاً مع نفسي فأنا ما عدت صغيرة وسوف أعتاد على
الذهاب إلى الجامعة وحدي..

فقال لي والدي.. من الآن أنتِ صرّتِ عاقلة ناضجة وأنا
أراكِ تكبرين أمام عيني... ولذلك سوف أعطيك مفتاح
حريتك ولكن تذكري هذه الكلمات جيداً.. عليكِ ألا تسيئي
استخدام هذه الحرية.. واعلمي أنني في البداية أو النهاية أب
قلبه يرتجف خوفاً على فلذة كبده.. خوفاً عليهم من العالم
الخارجي...

الباب الرابع.....

مرت أيام ووصل جواب بريدي إلى منزلنا... أوصله لنا
عم عطية حارس العقار... استلمته منه أمي وقامت بإدخاله
إلى غرفة أبي

وقفتُ أنا أفكر في حيرة... لماذا لم تسلم أمي الجواب إلي؟

شعور الحيرة هذا من أصعب الأشياء... كلما انتابني
الشعور بالفشل للمرة الثالثة يتجمد دمي ويتوقف ذهني عن
التفكير... فاللهم العون وازرع بقلبي الطمأنينة...

وأخيرًا انفتح باب الغرفة... ما عدت أقوى على الوقوف
على قدمي.. فاتجهت إلى المقعد الجانبي لي.. وجلستُ لأستجمع
قواي...

قال لي أبي: يا ريم.

- نعم يا أبي

- اقتربي نحوي هنا...

فأخذت بالتهوض ومن ثم خطوات خطوتين فاقتربت منه
فضحك أبي ثم قال:

- لماذا ترتجفين هكذا... مبروك يا نور عين أبيك كلية
طب يا ابنتي والله الحمد.

لا أقدر على وصف هذا الشعور... شعور متحول كترموتر
ينخفض ثم يعلو فجأة داخل قلب الإنسان يجعلك شخصين
في آن واحد... شخص خائف حزين بائس... وشخص يكاد
يجن عقله من هول الفرحة.

بارك لي أبي وأمي واحتضناني.. فاستأذنت أبي وأمي في أن
أدخل غرفتي أصلي وأحمد الله على ما أعطاني من نعم متواصلة
تتوالى وراء بعضها على حياتي...

وبالفعل توضأت وتوجهت إلى غرفتي وارتديت جلباب
الصلاة الخاص بي وبدأت في البكاء وأنا أكبر تكبیراتي..
فشعور الفرح هذا جميل جدًا.. شعور روحاني يريح البدن
والقلب ويريح العقل معهم...

فرغت من صلاتي... وتوجهت كعادتي إلى شرفتي...
ونظرتُ خارجها أطلع بالعالم الخارجي... وتذكرت تلك
النافذة المقابلة لي... فلم يكن هناك أحد... وكان الزجاج
معتم يكسوه الظلام.. فأخذت أمرار عيني على المارة بالشارع

بالأسفل .. فكان يخيل لي أنني سوف أقوم بمناداتهم وأقوم
بإخبارهم عن نجاحي وأنتي تم قبولي بكلية الطب...

رجعت بنظري مرة أخرى إلى النافذة... وجدت هذا
الخيال مرة أخرى.. فحب الفضول جعلني من الممكن فعل
أي شيء لأعرف من هذا.. إنسان أم شبح..

فطرات لي فكرة.. وهي أن آخذ النقود من أبي.. وأستأذنه
في أن أتوجه لشراء بعض الملابس الخاصة بدخول الجامعة...
وبالفعل بعد مشاورات تمت بيني وبين أمي التي كانت دائماً
تعترضني.. بحجة الناس والوقت.. وكيف... حتى قال لها
أبي اتركها تعتاد على الخروج بمفردها.. فغدا عند ذهابها إلى
الجامعة سوف تذهب وتعود بمفردها...

رقص قلبي فرحاً... وأسرعت كالأطفال في ارتداء
ملابسي... وبالفعل قد انتهيت من ارتداء ملابسني.. وأخذت
معي في حقيتي هذا المصباح الخاص بمنزلنا في حالة الطوارئ
عند انقطاع الكهرباء...

وقبلت يد أبي وانصرفت..

كل ما يحول بذهني الآن هو أن أتجه إلى هذا العقار المهجور
وأستكشف ما يخبئه بداخله من أشياء غير معلومة.. حُب
المغامرة يقتلني شوقاً... وحب الفضول يسحب من طاقتي
لأصل لمعرفة هذا المجهول..

الباب الخامس.....

باب معدني أسود يملأه الغبار المتراكم.... خيوط العناكب المتداخلة لنسج دائرة كبيرة متناثرة في كل اتجاه على جدار الحائط... ظلام كاحل يملأ المكان بأكمله.. أشعلت مصباحي وبدأت في التحسس بيدي على جدار السلم... واضح أن نصف السلام غير مستوية... يوجد بها شقوق وكسور... كدت أن أسقط على وجهي أثناء صعودي هذا السلم

وأخيرًا وصلت إلى الطابق المقابل لطابقي... باب مردود بدون غلق يملأه الغبار... الكشف لا يظهر لي الكثير من الرؤية الواضحة... ضوء أبيض خافت يدخل من إحدى النوافذ يمتد إلى إحدى الغرف... بحثت على جدار الحائط على زر أشعل منه الضوء.. فأنا متأكدة من وجود ضوء هنا... لأنني دائمًا ما كنت أرى ضوء خلف هذا الزجاج...

توصلت إلى هذا الزر المكسور وضغطت عليه... يا إلهي ما هذا يا ربي... أغشي علي في هذه اللحظة واسترددت وعيي بعد فترة لأجد هذا أمامي...

شاب في كامل وسامته... يحملني على ذراعه يرفعني قليلاً
من على الأرض...

- من أنت؟

- اهدئي قليلاً.

كيف أنت هنا؟

- استمعي إلي وأنتِ تستعيدي أنفاسك إلى صدرك.

- هل أنت من تقوم بمراقبتي كل ليلة؟

- سأجيبك على كل هذه الأسئلة التي تدور برأسك عندما
تهدئين...

- ها أنا قد هدأت.. هيا تكلم.

- أنا عُمر صديق طفولتك أيام المدرسة الابتدائية ابن
عمك عبد الجليل صديق والدك..

لم أقدر على نسيانك برغم كل هذه السنين التي مرت..
وبالرغم من أننا تركنا هذا المنزل الخاص بجدي.. إلا أنني
كل ليلة آتي إلى هنا لكي أراك أو ألمحك من هذه الشرفة.. أو
هذه النافذة...

- ولكن لماذا تأتي لتراني؟

- لماذا...!!! لأنني أحبك... ولا أقوى على نسيانك.. فأنتِ حب الطفولة وحب الكبر.. وأنتِ كل الذكريات الجميلة في الصغر...

اشتقت إليك يا ريم.. أصبحت ملاحك عن قرب جميلة جداً.. أشعر بفرحة تسع هذا الكون الآن... أشعر أنني ولدت من جديد..

ثم فجأة تذكرت أنني المفروض أن أشتري بعض الملابس كما قولت لهم بالمنزل... فنهضت فجأة... وبدأت في إزالة الغبار عن فستاني...

فقال لي: ماذا بك

قلت له: لقد تأخرت...

- عن ماذا؟

- أود الذهاب لمركز المدينة لشراء بعض الملابس..

- هل يمكنني الذهاب معك...

- ولكن لا يمكننا التنزه سوياً من هنا.. سوف أسبقك إلى زاوية الشارع بالخارج وأنت تلحقني بعد دقائق.

خرجت من العقار أتلسل كالسارقين... وأتلفت بعيني مرة يمين ومرة لجهة اليسار ومن ثم انطلقت بسرعة فائقة

للسرعة الطبيعية لدي حتى وصلت لخارج المنطقة.. وقفت في زاوية أنتظر عمر.. وبعد دقائق وجدته قادما نحوي.

أوقف سيارة أجرة وذهبنا بها إلى منتصف البلدة... وأخذنا الحديث إلى الجامعة وعرفت منه أنه يدرس بكلية الصيدلة وهو الآن في السنة الثانية... وأن والده رجل مسن.. ووالدته قد توفاه الله منذ عام... وأنه هو من يقوم بواجبات المنزل والمذاكرة معاً.. وأن مرض والدته ومن ثم وفاتها جعلوه تأخر في الدراسة عاما واحداً..

وعندما علم بدخولي كلية الطب قال لي: ستصبحين أجمل طبيبة في الدنيا..

ها قد وصلنا إلى وسط البلد ومررنا بأحد المحلات واشتريت كل ملابسني على ذوقه هو وتناولنا معاً الأيس كريم.

ثم سألني: ألا تملكين هاتف محمول؟

فقلت له: لا.

قال: لا بد أن تشتري واحداً قريباً لأحدثك به.

- سوف أطلبه من أبي.

ثم أخذ من حقائبي البلاستيكية فاتورة ورقية وأخرج من جيبه قلماً وكتب لي رقم هاتفه المحمول وأعطاني إياه.

انصرف كل منا في طريقه إلى منزله حاملاً معه همسات
الحُب الدافئ بقلبه... جولة سريعة أخذت تعبثُ برأسي.
رأيت ريم الصغيرة وهي تلعبُ مع عُمر في المدرسة
ورأيت تلك الصفائر التي كانت تصنعها لي أمي بشرطتين
بيضاواتين... وكانت تعقدهما على شكل فيونكة... اصطحبني
فجأة قلبي إليك يا فارس طفولتي.. عسى الله قد أرسلك
لقلبي لتشعره بالحُب الصادق وتجعلني أتمسك بالحياة من
جديد...

وصلت إلى منزلي وأخذت أتمرر قطع ملابسي الجديدة على
أسرتي... لا أخفي عليكم الأمر.. كما كانت نظرات أختاي لي
تربكني وكأنهما يتمنيان أن يمزقا لي ملابسي إرباً إرباً... أخذت
ألملم قطعي المتناثرة بين أيديهم.. وأضعها في حقائبها..

ومن ثم اتجهت إلي غرفتي... أبحث عنك يا حبيبي... هل
ترى بالفعل أنني أحبك... أم أنني أهرب من عالمي المتشابهة
أحداثه إلى بين يديك.. لا يهم.. عسى حُبك هذا يفتح هذه
الزهرة التي قد ذبلت قبل أوانها...

الباب السادس...

نقطة تحول...

ها هو قد أتى أول يوم دراسي جديد... حالة من الفرح
تمتج مع حالة من التوتر... إنه لشيء غريب على عالمي..
قرر أبي أن يوصلني حتى يطمئن علي...

يا للروعة أهذا ما يسمونه بالحرم الجامعي.. ساحة كبيرة
جداً تمتلئ أرضها بعدد هائل من الإناث والذكور... إذا
ركزت بنظرك إلى الأعلى تجد الشمس تكسو سماءها وإذا
وجهت نظرك إلى الأسفل.. لا تستطيع التركيز من كثرة عدد
هذه الأرجل المتحركة...

باب قاعة التدريس.. باب خشبي كبير جداً لونه بني...
يُفتح لكثير من الأعداد الهائلة من الطلبة... الجميع هنا
يحملون الروب الأبيض الخاص بالتمرين الدراسي.. لاحظت

هذه الورقة المكونة من خانات كثيرة.. يا ربي أهذا هو جدولنا... وما كل هذه المواد المقررة علينا...

انتهت المحاضرة الأولى وكانت مجرد تعارف بيننا وبين الدكاترة..

خرجنا للاستراحة بالخارج قليلاً.. فقد كانت القاعة كادت أن تخنقنا من كثرة العدد.. وقلة الهواء بداخلها...

أخذت أخطو خطواتي ناحية تلك الورقات المثبتة على الحائط... حتى توقفت عيناى عند هذه اللوحة المعلقة... وكانت تحتوي على هذه الكلمات..

مرحبا بك في كلية الطب

ها أنت عزيزي الطالب في

كلية الطب بعد ما يقارب اثني عشر عاما من الدراسة الجادة والتنافس

الشديد.. الآن.. أنت في كلية الطب.. الهدف الذي لطالما فكرت في بلوغه

والوصول إليه.. بالتأكيد يخالjk شعور رائع لأنك حققت هدفك..

نظام الدراسة بكلية الطب

مدة الدراسة بكلية الطب هي سبع سنوات.

* السنتين الأولى والثانية:

ستقوم فيهما بدراسة جسم الإنسان الطبيعي من النواحي التشريحية والوظيفية والكيميائية والمجهرية. (

* السنة الثالثة:

ستقوم فيها بدراسة جسم الإنسان غير الطبيعي (المريض) من ناحية أسباب الأمراض وكيفية حدوثها، وفكرة عامة عن كيفية علاجها..

* السنوات الرابعة والخامسة والسادسة:

ستقوم أيضا بدراسة جسم الإنسان المريض فيها.. ولكن من الناحية الإكلينيكية أو التطبيقية، وستدرس كل تخصص على حدة..

* السنة الأخيرة (سنة الامتياز) :

هي سنة خاصة للممارسة العملية في مستشفيات الجامعة، حيث تمر على كل التخصصات وفروعها الدقيقة.

بعد هذه السنوات السبع.. أنت الآن جاهز لممارسة مهنة الطب..

أخذت أتهامس بكلماتٍ مع حالي... وأنا أقول «يا إلهي ما هذا.. واضح أنني قد علقت سنيني القادمة بالسبع سنين عجاف وستصبح أيامي جافة بلا روح.. ولكنني لم أتمكن من تخزين ما يُسرني لتلك الأيام هذه...

أنهيت أول يوم دراسي مليء بالحشو الدراسي... والتقطت أنفاسي فدرجة حرارة الشمس كانت مرتفعة في هذا الوقت... وأثناء توجهي لباب الخروج رأيتُ عمر منتظر على الناصية المقابلة لباب الجامعة.. كان يرتدي نظارته السوداء التي كانت تجعله يزداد تألقاً... كم كان حبيبي وسيماً... ابتسم لي وأنا بادلته بعلامات ذهول على ملامحي... اقتربت منه فأخذني من يدي ثم التف ذراعهُ داخل ذراعي... كم كانت دقات قلبي تزداد سرعة... إنها روعة الحب يا قلبي... لأول مرة لم أخف لم أرتجف لم أحسب حساب ما سوف يحدث إذا لمحنأ أحد... همس إلي قائلاً.. ما أروعك بملابسك الجديدة يا صغيرتي..

- صغيرتك!!!

- نعم فلقد أحبيتك وأنتِ صغيرتي... وكبرَ حُبك بداخلي مثلما كبرتِ أنتِ يا صغيرتي...

كم كانت لمساته ليدي تُربكني اشتياقاً وتشعلني عشقاً...

اقتربنا من هذا المطعم الذي يفضلهُ هو لأكلة (الكشري) فهو يسبقني في معرفة هذه الأماكن من قبلي...

بدأت أوقن أن أيامي القادمة بل حياتي بأكملها سوف تتغير
بزاوية مائة وثمانين درجة... ويجب أن أتمسك بحلمي وأضع
هدفي أمام عيني.. وبالإصرار والعزيمة سوف تمر الصعاب..

الباب السابع... تحقيق الهدف....

مرت الست سنوات بكل ما كانت تحمله معها من أوقات عصيبة.. ورياح التوتر.. وساعات القلق.. فقدت فيهم معنى الحياة حرفياً... فقدت فيهم وزني.. ورسخت فيهم عقلي وذهني لكل تلك المواد الضئيلة حجماً وعدداً... نسيت فيهم النوم ولكنني لم أنس فيهم رفيق القلب ومصباح العقل لن أنسى مساعدتك لي يا حبيبي.. لن أنكر أنني لولاك ما كنت أقوى على تحمل هذا الكم الهائل من الضغط العصبي والبدني.. لن أنكر أنك تحملتني في أغرب حالاتي... كنت دائماً كلما اقتربت من السقوط تسرع بملاحقتي وتسدني وتقويني على الأيام.. كنت أنت كبسولتي التي تُعيد لي ثقتي بنفسني وتجعلني أرى أنني أقوى الناس...

وجودك في حياتي لا يُوصف بكلام.. وتقديري لمجهودك
معي لا يُكيل بمالٍ ولا كلام..

تفوقت خلال الست أعوام الماضية بدرجة امتياز وهذا
بفضل الله علي..

كنتُ أستمع بمُذاكرتي عن طريق تحميل بعض الملفات
من أحد المواقع الخاصة بمواد كلية الطب علي هاتفي الذي
كان قد أهداني به أبي عندما حصلت على درجة الامتياز في
السنة الأولى من دراستي..

تزوجت أختي رباب من ابن صديق أبي وسافرت معه
إلى إحدى البلاد العربية وهي تزورنا كل عام مرة... أنجبت
منه أنس وزياد أعشق شقاوتهم وأعشق تفاصيل براءتهم
الطفولية...

أما رانيا فتزوجت ابن عمي عن قصة حب.. ولكنها لم
ترزق بأطفال حتى الآن..

وقد هداها الله لي بعدما أدركت أنني سأصبح طبيبة
وصارت تفتخر بي وسط عائلة زوجها وأصبحت تعاملني
بكل احترام وحب حتى إن كل أسرارها تحكيها معي...

أما عن أخي رامي فقد تخرج من معهد متوسط عامين
وقدم على سفر بالخارج وسافر للعمل بالخارج...

أما عن أبي الغالي فقد أنهى مدة عمله بالوظيفة الحكومية...
والآن صار ملازم المنزل لضعف نظره كلما تقدم به العمر..

والآن ساعة الصفر... ساعة أكون أو لا أكون..

لا أنكر أنني مررتُ هذه السنة بنوع من التوتر الذي قد يكون
سبباً في تراجعى هذا العام عن مستواي الذي تعودتُ عليه...
فمرض أُمي جعل الحياة تتحول للون الأسود بعيني..
ففي خلال سنوات دراستي بالجامعة قد اقتربت علاقتي أنا
وأُمي ببعضنا البعض أصبحت هي المُقربة إلى قلبي في هذا
العالم بعدما كانت علاقتنا ببعضنا مبتعدة بحد الأميال برغم
أنها أُمي وأنا ابنتها...

أصبحت أفضفض معها عن كل ما أمر به في يومي.. حتى
(عمر) كانت تعلم بما بيننا وكانت تحبه جداً... وكانت دائماً
ما تدعو الله بأن يجمعنا بنوره عما قريب...

الآن تدور أفكار كثيرة بذهني... هل ستركييني يا أُمي؟

لمن سأفرغ أسراري إذا رحلت؟

وكيف سترسم الفرحة شفتاي بدونك... فقد كنتِ أنتِ
سبب فرحي وأنتِ من تمسحين دمعي..

اقترب وقت الامتحان وأنا بالي مشغول عليك.. استيقظتُ
من نومي لأجدك قد استيقظتِ من قبلي..

تسجدین علی سجادة الصلاة وترفعین یدک لأعلى لتدعی
الله بأن یقف معی فی هذه الساعات..

أسمع صوت أنفاسک وأنتِ تلتقطینها بصعوبة..

ومع ذلك تمدين لی ید العون حتى أستطیع تکملة ما تبقی
من وقت حتى أحصل علی شهادتی الجامعية..

فهی تشعر بالذنب تجاهی.. لمرضها المفاجئ.. فهی تعتقد
أنها ممکن أن تكون السبب فی تراجعی عن الامتياز هذا العام..

جلستُ بجوارها وقبلتُ یدها واقتربت من صدرها
ووضعتُ رأسی علیہ... فأخذت تمسح لی بیدها علی رأسی
وهی تقرأ بهمسات صوتها الناعمة... رُقية شرعية وبعض
الآیات من القرآن..

ثم قالت لی: لن أنساكِ من دعواتی.. ركزي یا ریم فی
الإجابات.. أنتظر شهادتك هذه بفارغ الصبر من سنين..
أريد ان أفرح بكِ أنتِ وعمر الآن عمر قد تخرج ويعمل فی
إحدى الشركات لترکب الأدوية... أعتقد أنه بعد تخرجك
قد آن الأوان لیطلب یدک من أبیک...

فتبسمتُ بسمه خجل فقبلتني وهی تضحك ضحكة هادئة
صامتة قائلة:

- أنتِ يا بنيتي تذكّرني بنفسي أيام صباي كنت أعشق
أبيكِ وتمنيت أن أكون له وأن يكون لي.. أنتِ تشبهيني في كل
شيء...
...

ذهبتُ إلى الجامعة بعدما أخذت جرعة الحنان الممزوجة
بالأمل والتفاؤل من أمي...
...

والحمد لله أنهيت اليوم الأول وتوجهت لأقابل عمر خارج
الجامعة وجلسنا سوياً داخل مطعم نتحدث فيما سيتم من
أمر عند تقدمه لأبي بمفرده فقد صار وحيداً بعدما قد توفي
والده...
...

مرت الأيام والشهور والحمد لله قد انتهيت من جميع
امتحاناتي... ولكن أمي حالتها الصحية تدهورت أكثر...
علمتُ أنها قد تحدثت إلى أبي عن قصة زواجي من عمر
وقالت لي إن أبي مرحب جداً به.. ويعلم عنه وعن أسرته كل
شيء بالماضي...
...

وطلب مني رقمه الهاتفي.. ما كنت أتوقع أن أموري
سوف تصبح هكذا سلسلة وبسيطة...
...

أعطيت أبي الهاتف الخاص بعمر.. واتصل به...
...

- ألووو عمر

- نعم أنا عمر.. من معي؟

- عمك عبد الرحيم والد ريم

- أه أهلا وسهلاً يا عمي ...

- أهلا بيك يا ابني... ننتظرك غداً أنا وأم ريم بعد صلاة
المغرب لندردش سوياً.

- حاضر يا عمي إن شاء الله

نظرتُ أنا لأبي نظرة حب ممزوجة بفرحة... اقتربتُ منه
واحتضنته وقلت له:

- شكراً يا أبي

- يا ريم أريد أن أطمئن عليكِ مثل بقية إخوتك فلم
يعد متبقيا غيرك معنا بالمنزل... ولولا دراستك الطويلة التي
قضيتها بالجامعة.. لكان مكانك بمنزل زوجك وليس هنا
بيننا... أسأل الله لكم أن يوفقكم لما يحبه ويرضاه..

ها هو اليوم التالي قد أتى.. واقترب موعد عمرع أبي..
جهزت حالي وارتديت أجمل فستان عندي.. وأخذت أحضر
مع أمي بالمطبخ قالب الكيك بالفانيليا وعصير المانجو
المثلج... فلدى أمي خبرة بارعة في عمل قالب كيك بامتياز
بداية من رائحته حتى شكله وطعمه...

دق الباب بالخارج اتجهتُ أنا لأفتح الباب فقال لي أبي:

- اذهبي أنتِ يا ريم لغرفتكَ بالداخل حين أن أحتاجك
أنا وأقوم بمناداتك

فهزرت رأسي بمعنى حاضر يا أبي...

اتجهت أنا لغرتي وسندت رأسي على طرف الباب فأنا
الفضول كاد أن يقتلني أريد أن أعرف ما يدور بالخارج...
وفجأة وجدت هاتفني يرن... إنه اتصال من عُمر

وضعت الهاتف على أذني لأجد أن عمر يشاركني ما يدور
بالخارج معه هو وأبي حتي لا أشعر بالضيق من عدم تواجدي
معهم... كم أحبك يا حبيبي...

وكان الحوار كالآتي..

- كيف حالك يا بني؟

- تمام يا عمي وبفضل من الله.

- صرت شابًا كبيرًا أتذكر منذ أعوام كثيرة كنت طفلًا
صغيرًا يلهو بالشارع ويصنع لنا الضجيج وكنت دائمًا ما
أناديك يا ولد يا عمر.. ثم ضحكا هما الاثنان

ثم واصل أبي حديثه: والدك رحمة الله عليه كان أخا
وصديقًا فاضلاً عزيزاً على قلبي.. أتذكر صلاتنا سوياً
بالمسجد وخصوصاً صلاة التراويح بما تحمله من رائحة عطر

لذا كرتي.. وصلاة الفجر المباركة.. وصلاة العيد... هاهنا
(تنهيدة طويلة) أيام وسوف أقبله أنا أيضًا...

-أطال الله بعمر ك يا عمي وأعطاك من الصحة ما يكفيك.

-علمت من أم ريم أنك قد توظفت..

-نعم.. توظفت بإحدى شركات تصنيع الأدوية.

-وهل راتبك يكفي لفتح منزل الزوجية.

-نعم يا عمي.. إن شاء الله ما يريد الله سيكون.

قام أبي بمناداة أمي من الخارج: يا أم ريم تعالي رحبي بابننا
الثاني.. ونعم الابن ونعم الزوج لابتتنا..

تراقصت نبضات قلبي فرحًا وصرت أترقص بالغرفة...
كادت الفرح تجعلني أفقد وعيي..

ثم قام بمناداتي: يا ريم.. تعالي سلمي على عريسك.

نظرت لنفسي بالمرآة وصححت ملامحي ببعض من البودر
وأيضًا وضعت قليلًا من أحمر الشفاه..

ثم اتجهت للخارج معلنة حبي المدفون... وقفت متصلبة في
مكاني فوجئتُ بنظرة عمر لي وكأنها النظرة الأولى التي يلقاني
بها... كم كانت عيناك تحدثني وأنا أفسر كلامهما... كنت
تقول لي ما هذا الجمال الذي أراه؟ هل تلك الحسناء من نصيبي؟

وأخيراً قد فزت بك يا حسناء... تناسيت أنا وعمر في
هذه اللحظة وجود أبي وأمي معنا..

وفجأة قال لي أبي:

- اقتربي يا ريم... فاقتربت منه فأجلسني بالمقعد المجاور
له فكنت أنا جالسة على المقعد اليمين وأبي عالاً ريكة بالمنتصف
وعلى الجهة اليسرى عمر أما عن أُمي فظلت واقفة حتي
نهضت من مكاني وأخذتها من يدها وأجلستها بجواري..

بدأ أبي بالكلام مرة ثانية وهو يضع يده على كتف عمر
قائلاً:

سأعطيك ابنتي الغالية الوحيدة القريبة لقلبي.. بلسم
جروحي أنا وأمها... عكازي سوف يذهب معك... بسمتنا
وعطر منزلنا... سلمتك إياها لك أمانة.. وأوصيك خيراً
بها.. كن لها سنداً وأخاً وقت الشدة.. وزوجاً وقت الحب
والمودة...

فدمعت عين عمر ثم قال:

- ريم هديتي من الزمن.. طفلتي وحببتي.. عشقتها منذ
الطفولة.. وفي شبابي رأيت فيها زوجتي وابنتي.. هي كل
عالمي... أعاهد الله أمامك أنني لن أبكيها يوماً... ولو اضطر
الأمر لإعطائها حياتي ملكا لها...

فاحتضنه أبي.. ثم قال:

-وماذا يريد أي أب يا بني غير هذا الحب لابنته

الآن سنعلن الخطبة وإتمام الزواج حين ظهور نتيجة ريم واختيارها للتخصص الذي تريده...

وبالفعل تمت الخطبة وكانت ليلة من أجمل الليالي حيث استأذن عمر أبي في اصطحابنا لسهرة نحتفل بخطبتنا بها بالخارج فاعتذر له أبي نيابة عنه هو وأمي قائلاً:

- اعذرني أنا يا بني.. فصحتي انا ووالدة ريم ما عادت تحتمل الخروج والسهر بالخارج... ولكنك تستطيع أن تصطحب ريم وتحفلا سوياً.. فأنا أثق بكما... مبارك عليكما يا أولادي...

ذهبت مع أحمد إلى أحد المولات وجلسنا بمطعم فخم.. وتناولنا أجمل أنواع المشويات... وعلى سبيل ارتدائي لفستان سواريه قدم لنا المطعم ألذ مشروب من الفواكه المختلفة...

ثم توجهنا إلى قاعة السينما واشترى أحمد تذكرتين لمشاهدة فيلم رومانسي أجنبي.... كان طوال الوقت يحمل يدي في يده... لا يريد أبداً تركهما...

أنهينا تلك السهرة الجميلة.. وانصرفنا متوجهين إلى منزلي... صعد معي أحمد وتحدث قليلاً مع أبي قائلاً:

- سأنتظر منك يا عمي موعد تحديد الشبكة وكتب الكتاب
معاً... بحيث تكون أخبرت أخواتها لحضور حفل الزفاف.
ثم انصرف مودعاً إياي وأمي وأبي....

الباب الثامن...

حلم العمر.....

بدأت أُمِّي في تحضير بعض المستلزمات الخاصة بزفافي من
أطعمة وصناديق مشروبات...

ثم أخذتني لنستريح على الأريكة قليلاً..

قالت لي: خذي يا ابنتي هذا المبلغ أعطاني إياه والدك حتى
تذهبي وتشتري ما ينقصك من أشياء خاصة بجهازك...
فأنت تعلمين كم أعاني من آلام بمفاصلي بالإضافة إلى تقدم
العُمر لوالدك وعيناهُ الذي لا يستطيع الرؤية الواضحة بهما...

خُذي عُمر وشاركيه في اختيار الأشياء...

واسمعي من أُم ذاقَت من تجارب الزمن ما يكفيها
للحصول على الخبرة بالحياة...

كوني له بئراً لأسراره... غطاءً يستر به حاله... نظارته
لرؤية الأشياء ببقاء... دواءه عند الألم...

طبيبه عند المرض... لا تجعله يبحث عن الراحة خارج
بيتك... ولا يشتكي من عدم حسن مظهره.

وقبل أن يحتاجك لا تجعله يبحث عنك.. كوني أمامه
دائماً.. وإذا كان مزاجه متغير وحدثك بطريقة غير لائقة...
انصرفي عنه حتى يأتيك هو ويقبل جبينك ويشكولك من
تلقاء نفسه ماذا حل به من كرب...

احتضنتني أمي وأنا متتبعة بأذني صوت همسات وخروج
ودخول أنفاس صدرها..

رجعت برأسي للوراء ونظرت إليها في قلق...

- أمي واضح أنك قد أرهقت نفسك في خلال هذين
اليومين... أرجوك ادخلي غرفتك واستريحي قليلاً وأنا لن
أشتري أي شيء إلا بعد أن أتوجه غداً لرؤية نتيجة تجريبي..
كل ما أتمناه منك أن تدعي لي أنت وأبي بالحصول على درجة
الامتياز أيضاً هذا العام.

- إن شاء الله يا حبيبتى موفقة مثل كل عام... أريد أن أفرح
بك في بيتك قبل أن يتوفاني الله.

- أطال الله لي ف عُمرِكَ يا أُمِّي .. لا تتفوهي بتلك الكلمات
المتشائمة أمامي مرة ثانية... هماكُ ربي من شر ما يؤذيك يا
غالية ..

رافقت أُمِّي إلى عُرفتها وجعلتها تمدد جسدها حتى تستريح
بجوار أبي...

وخرجت من عُرفتي لأسمع صوت هاتف يرن .. توجهت
إلى المنضدة وأخذت الهاتف لأجده عُمر ..
- ألووو...

- حبييتي .. كيف حالك؟

- تمام في خير حال يا حبيبي ...

- جاهزة يا بطلتي .. غداً الفيصل المنتظر في تعب كل تلك
السنين ... وبعدها ستكونين أميرتي ... قلبي يرقص فرحاً
أخيراً سأجتمع بك في بيتنا السعيد...

أُحبك يا صغيرتي بل أحب كل يوم أحبتك فيه وزاد حُبي
هذا إلي ان جعلني أشعر بأنني قد ملكت بقلبي كل هذا العالم
- وأنا أُحبك أيضاً يا قلبي ..

- يااااه .. أخيراً سمعت منك أُنذائي كلمات في الحب تحيي
هذا القلب المتشوق لكلماتك الغالية هذه

أنهينا المكالمة بيننا وتوجهت لأتحدث مع إخوتي عن طريق موقع التواصل الاجتماعي لأعرف منهم متى سيأتون إلى البلدة لإنهاء مراسم زفافي...

واتفقنا على موعد بداية الشهر القادم أنهم سوف يحضرون فأدركت وقتها أنه ما عاد متبقيا على موعد الزفاف إلا القليل... ويجب أن أسرع في إنهاء ما تبقى من أشياء تنقصني كما قالت لي أمي..

في صباح اليوم التالي أتى عُمر إلي باكراً وكالعادة استيقظت لأجد أمي جالسة على المقعد تدعولي وتتمنى لي حدوث كل خير قبلتُ جبينها ويدها وأخذتُ منها البركة وتوجهتُ لأبي فكان يجلس في الشرفة يقرأ الجريدة ويشرب فنجان الشاي الخاص بصباحه مثل كل يوم...

- صباح الخير يا أبي

- صباح الخير يا ريم.. ها هل ستذهبن لرؤية نتيجتك؟

- نعم يا أبي... جئت لأستأذنك أن تدعولي...

فاحتضنني ومسح على رأسي ودعى لي بالتوفيق.

في هذه الأثناء رن هاتفي... فرجعت بظهري للوراء ثم نظرت من خلال سور الشرفة فوجدت عُمر ينتظري أسفل وهو يتسهم لي... فنظرتُ إلى أبي بخجل لأجده يضحك قائلاً:

- هل هذا عُمر..؟

فارتبكت قليلاً:

- ... نعم يا أبي هو.

- اذهبي يا بنتي على الأقل سأكون مطمئن عليك معه إنه
نعم الشاب ونعم الأدب... رجل مثل أبيه رحمة الله عليه..

اذهبي يا ابنتي ولا تنسي أن تجعله يمر علينا في الغداء
لندردش قليلاً في أشياء خاصة بكم...

- حاضر يا أبي... وداعاً

اتصرفت وأنا الخجل يملأ وجهي من أبي... فقد عودنا أبي
على الحرج منه دائماً وجعلنا نخشاه خوفاً واحتراماً...

قابلت أحمد وما أن أمددت يدي لألقي عليه سلامي حتى
اختطفها ووضعها بذراعه مقرباً إياها من قلبه.

ذهبنا واتجهت إلى جامعتي لم أحظ بعدد كبير من الأصدقاء
لضييق الوقت وكثرة المنهج الدراسي والجدول اليومي.. كانت
علاقتنا كزملاء سطحية فقوة الرابطة قد أخذها مني عمر
لصالحه... لم أعد أريد أي أصدقاء غيره...

وجدنا تجمهرًا عند تلك الزاوية اليمينية بالجامعة... واضح
أنه ازدحام قراءة النتيجة...

- عمر قلبي يخفق من ضرباته.
- انتظريني هنا سأقرأها لك وأعود إليك ثانية.
- مر دقائق وإذا بعمر قد أخذ صورة لاسمي بكاميرا هاتفه... (الطالبة ريم عبد الرحيم) امتياز.
- أخذت أتراقص وأضحك وأعلي صوتي:
- عمر امتياز يا عمر.. اتصل بأبي وأخبره أنني الآن صرت الدكتورة ريم عبد الرحيم.
- أخذ عمر يربت علي يداي فرحاً ثم أخذت عيناه تطلق دموع سراحها.. وهو يهز رأسه بكلمة نعم وأخذ هاتفه وطلب أبي...
- عمي مبروك الآن صرت أبو الدكتورة ريم
- مبروك يا بني أعطيني ريم
- مرحباً أبي... رزقني الله رضاك أنت وأمي... امتياز يا أبي
- مبروك يا حبيبي... تستحقين هذا النجاح.. فأنت قد صبرت كثيراً جداً.. وإذا جاء عوض الله لا يُقدر بوصف يا ابنتي... تعالي يا ريم أنت وعمر نحن في انتظاركم أنا وأمك.. لا تتأخرا.

صمم عمر أن نمر على تاجر الذهب ونحن في طريقنا...
وفاجأني بخاتم صغير أنيق جدًا...

- هذا هدية النجاح... بعيدًا عن الشبكة يا حبيبي.

- بارك الله لي في حُبك هذا وزادني بقلبك عشقًا.

ثم انصرفنا متشابكي الأيدي... وقبل وصولنا لباب منزلي
قام بحمل يدي إلى شفتيه مقبلًا إياها بلطفٍ هامسًا لي بصوتٍ
ناعم يُحرك أمواج بحر العشق داخلي يجعلها تشور: أحبك يا
صغيرتي.

طرقنا الباب... فتحت لي أُمي محتضنة إياي بحب.

- الحمد لله يا ريم عوضك الله ب عمر والنتيجة... كافأ
صبرك به خيرًا.. تفضل يا بني.. عمك ينتظرك بالداخل...

دخلت أنا وعمر... تقدمت أنا لأقبل يد أبي...

- مبروك يا حبيبي... ألف مبروك...

- الله يبارك فيك يا أبي.

- أهلاً يا عمر يا بني تفضل بالجلوس.

- مبروك لريم يا عمي..

- الله يبارك فيك يا بني... عجلوا من شأنكم لنسعد
جميعًا...

- حاضر يا عمي... دعواتك معنا

جهزت أمي الغداء وأخذنا نتبادل الحديث بيننا أثناء
تناولنا الطعام.

ثم استأذنا أبي وأمي في الذهاب معنا لشراء مستلزمات
منزل الزوجية...

انصرفنا جميعاً والحمد لله كان يوماً من أجمل مما يكون برغم
ما عانيناه من إرهاق به... إلا أنه كان إرهاقاً ممتعاً يشعـرنا
بمعنى الفرحة الحقيقية..

مرت الأيام... وقد أنهى عُمر منزلنا من دهانات
وأرضية...

لم يسمح لي أن أرى أي شيء من حدوث تغييرات بمنزلنا...
دائماً ما كان يردد: اتركيني أفاجئك...

حضرت أختي رباب ومن ثم رانيا... لم يتبقَّ غير رامي...
فمن المعروف أنه دائماً يأتي على الموعد المحدد بالتمام...

ساعدتني أخواتي ولم يدعوني أرهق نفسي كم كنت سعيدة
بروح التعاون هذه منهم.... لقد فعلوا لي كل شيء... وجهزوا
أشياء خاصة بي بمنزل أبي ووضعوها بصناديق... وكلما
أردت أن أساعدهم في أي شيء تمنعني أختي رباب وتقول لي:

- أنتِ أصبحتي ضيفة يا صغيرة... أتريدين أن تظهر عليكِ علامات الإرهاق يوم زفافك؟
- لا.. طبعًا.
- إذن أريحي نفسك... واذهبي واستمتعي بوقتك.
- إذن سأذهب لحجز فستان زفافي أنا وعُمر.
- ستكونين أجمل عروسة يا حبيبتى... فجمالك هذا سيسحر الأنظار يوم الزفاف..
- بارك الله لي فيكِ يا أجمل أخت..
- مع حضن يشعرني بالأمان والفرحة..
- اتصلت بعمر فقد كان منهمكا في عدة أشياء..
- عمر.. كيف حالك.. أين أنت يا حبيبي؟
- في النادي يا حبيبتى.. أحجز أقرب موعد لنا.
- تمام.. كنت أود الذهاب لحجز فستان الزفاف والكوافير أيضًا.
- تمام.. سأمر عليكِ بعد ساعة.. فأنا أيضًا أود شراء بذلة الزفاف لي..
- تقابلت أنا وعمر... وأخذني وذهبنا إلي مكان جميل جدًا يحتوي على أكثر من موديل لفساتين الزفاف..

خاصة أمتلكها أنا فقط عندما أراك؟ لقد سخر الله لي حبك
أمامي لأرى الكون من منظور قلبي.. ووهبني هديتي إياك
فهذا هو مكسب الدنيا عندي.

وكيف لي أن أحبك من قلبي.. إذ كنت أنتَ ذكرى البر
والبحر

كيف لي أن أغفَى بنومتي عَنْكَ.. إذ كنتُ أنامُ كل يوم من
أجلِ أن أراك في حلمي

كيف لي أن أكتب لأحدٍ غيرك... إذ كانَ قلبي لا يفكرُ بأحدٍ
غيرك ولا حتى قلبي

كيف لي أستحلفُك بالذي خَلَقَكَ.. أن ترى عيني غيرك
بالكونِ

فجأةً تذكرنا أننا داخل محل الفساتين فبعدنا مسافة صغيرة
للوراء ثم ضحكت عينانا.. ثم عُدتُ إلى غرفة القياس
وارتديت ملابسِي ومن ثم انصرفنا.

الباب التاسع...

ليلة العمر..

اليوم هو يوم زفافي على حبيب القلب وعشق الفؤاد..
الآن أنا متواجدة في الكوافير أنا وأخواتي... أنتظرُ عُمر
حبيبي ليأخذني إلى قاعة زفافنا... أما عن أبي وأمي وأخي
رامي.. فهم ينتظروننا بالقاعة لاستقبال الأقارب والأحبة..
أخذت أخواتي رباب ورانيا يلتقطن بعض الصور الجميلة لنا..
كنت بشهادة كل من رأوني أنني أجمل عروسة متواجدة
بينهم..
فجأة نادى على اسمي فتاة من داخل المكان لتخبرني بأن
عمر قد أتى...

وقفتُ لأضبط فستاني ثم أخذت أقرب من الصالة
بالخارج خطوةً فخطوة..

أرى أمامي فارس ببذلة سوداء تبهر العين.. تخطف
القلب.. ذو وجهٍ لامع مضيء يبهر القلب... يحمل لي في يده
باقة من الورد الأبيض وبمنتصفها وردة حمراء...

مد لي يدهُ ثم نظر لي نظرة حب وقال:

- ما هذا الجمال تبارك الخلاق..

ثم وضع قُبلةً على جبيني.. ثم حمل ذراعي في ذراعه واتجهنا
إلى السيارة والأصوات تعلو بالزغاريد من حولنا..

وعندما اقتربت من الشارع الخارجي أخذ عُمر بوضع
طرحه زفافي على وجهي وقال لي:

لا أريد أحداً غيري يرى هذا الجمال يا حبيبتي.

سيارتنا كانت بيضاء مزينة بالزهور الملونة... جميلة جداً..

انطلقنا لباب القاعة وجدتُ رامي ينتظرني هو وأبي وأمي
وبجانبهما أزواج أخواتي..

عقدَ قراننا المأذون.. وأعلننا زوج وزوجة..

وقعت بيدي ووضعت بصمتي الآن صرتُ لك يا حبيبي..
وأنت أصبحت ملكي..

احتضنت أبي وأمي وأخي واتجهت إلى القاعة ليرحب بي كل
الحاضرين

أنهينا ليلتنا الجميلة وانصرف الجميع بعد توديعنا وتمنوا لنا
حياة هادئة مليئة بالبركة والحب..

وأثناء خروجي من المصعد حملني عمر إلى باب الشقة..
أخذتُ أضحك وأنا محتضنة رقبته وألتف بيدي حول عنقه...
إحساس الطائر عندما يرفرف بجناحيه في السماء ليشعر
بمعنى الحرية.

كنتُ لأول مرة أرى فيها شقتي فهذا كان شرط عمر فهو
من قام بتجهيزها وجعل أخواتي هن من قمن بتجهيزها معه..
أجمل الإضاءات التي تريح العين.. رائحة عطر رومانسي
تنتشر بالأرجاء.. أما عن الأريكة كانت من أرق الأريكات
شكلاً ولوناً.. فحبيبي له ذوق خاص رائع لذلك تركت له
كل الأمور بدون أي تردد..

اتجهتُ إلى عُرفتي وجدتُ أجمل الديكورات أمامي..
يا ربي ما هذا الجمال... أسرع إلى عُمر واحتضنته قائلة:
أنا سعيدة جداً.. يكاد قلبي من سرعة دقاته يتوقف.

- هل أعجبك ذوقي؟

- جدًا يا حبيبي... أنت أجمل هدية هاداني بها الرحمن.

توالت الأيام وجاء موعد ذهابي للجامعة لأنهي أوراقتي الخاصة بقصة اختيار تخصصي في مجال الطب.. وقد قررت التخصص في مجال طب جراحة القلب...

توجهت إلى الجامعة وبدأت أتوجه إلى إحدى المستشفيات التي قد أمرت بالعمل بها...

بدأ العمل في أخذي من حياتي الزوجية وأصبح الجمع بينهما أمرا شاقا.

في الحقيقة كان عمر متعاوننا معي جدًا للدرجة أنني إذا اضطررت للتأخر بالمستشفى أعود لبيتي لأجده قام بتجهيز العشاء ومتفهم جدًا طبيعة عملي..

مرّ شهران على زواجنا وبدأت أشعر بإرهاق شديد في بدني.. وإحساس دائم بعدم الرغبة في تناول الطعام...

استشرت أحد الزملاء من صديقاتي في هذا المجال بالعمل فقام بعمل بعض الفحوصات للاطمئنان علي.. حتى أخبرني بأنني أملك بداخلي نبض صغير ملاكي الصغير..

توجهت مسرعة إلى منزلي قبل موعد مجيء عمر من العمل... جهزت طاولة الطعام المحاطة بالشموع المضيئة وارتيديت فستان سهرة رقيق....

ثم جلست أنتظر حبيبي...

ها هو صوت تكة المفتاح بالباب.. أسرعت لإطفاء
الإضاءة ووقفت بعيداً قليلاً عن الباب..

دخل عُمر وأغلق الباب.. ثم وقف مكانه متعجباً..

ثم قال: ما كل هذا الجمال... حبيتي أين أنت؟

ظهرتُ له.. واتجهت نحوه وقبلت رأسه قائلةً :

- أعطيني يدك... فمد لي يديه فأخذتها وقمت بوضعها
على بطني... ثم عدت قائلة:

رحب بضيفنا الجديد.. لديك زائر بالداخل يرحب بك.

قال: ماذا؟ هل تأكدت؟ يا الله... معقول... أنا سعيد
جداً... أحمدك يا الله... أنا سأصبح أباً... متى سنعلم نوع
الجنين... متى سيأتي لأحمله وأضمه بين ذراعي.. أحبك يا
ريم... أكيد سيكون شبيها لك... أجمل ملاك على الأرض.

- اهدأ يا عمر... نعم تأكدت أنا في بداية الشهور الأولى...
وكلها شهور وسوف تسعد به وببكائه الذي سيمنعك من
النوم.. أما عن نوع الجنين تقريباً في نهاية الشهر الرابع يا حبيبي..

- هيا تعالي واستريحي.. لا ترهقي حالك.. سأقوم أنا
بأعمال المنزل كاملة... يجب أن تأخذي أجازة مفتوحة من
عملك.. لا أريد لك أي إرهاق يا حبيتي..

أخذنا نتناول العشاء سوياً.. كانت لحظات من الحب
والأمل نمرُّ بها... كم هو طعم هذا الحب الذي بيني وبينك
يا حبيبي له مذاق خاص...

أعشقك وأعشق تفاصيلك.. وأعشق حنانك الذي تغمرني
به كل ثانية أعيش بها معك في هذا المنزل.. أعشق هواءك
الذي تتنفسه... وأعشق طفلي الذي أحمله بداخلي منك...
أنت عشق الحياة يا أنا.

فجأة رن هاتف عمر.. فاذا به أبي..

- ألووو.. مرحباً عمي كيف حالك..

عمي اليوم علمنا أن ريم!!!!!!.....

ماذا.....!!!!!!

سوف نأتي حالاً... سلام.

- عمر ماذا هناك؟ ماذا حدث؟

- أخذ عمر يمسح على شعري بيديه ثم احتضنني قائلاً:
ريم أنتِ مؤمنة بقضاء الله وقدره.. أملك في ذمة الله.

- ماذا...؟ لا!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!! أمي..

سقطتُ أنا مغشية علي... استرددت وعيي بالمشفى..

لأجد أجهزة محيطة بي من كل اتجاه.. ما هذا؟ عمر ينظر لي بالخارج من وراء الزجاج وهو ييكي.. ماذا حدث لي يا عمر؟ لماذا تقف بعيداً هكذا؟ لكنه لم يسمعني... هو فقط ينظر لي...
دخل الطبيب: مرحباً يا دكتورة ريم..

ثم رفع معصم يدي حاملاً إياه لأعلى وبدأ في التصنت
لسماع عدد نبضات قلبي ثم بدأ يلتفُ برأسه جانباً ليرى
تلك الشاشة التي ترسم دقات قلبي... ومن ثم أخذتُ أنا في
الصراخ.. أأااااااااااااااااامي... ياااااه اأمي...

فأخرج من جيب البالطو الذي يرتديه حفنة رفع الغطاء عنها ثم سكب ما بها قليلاً قليلاً في ذراعي بالوريد حتى بدأت أرى الرؤية غير واضحة...

عندما استرددت وعيي علمت أنهم قد أنهوا مراسم دفن
أمي...

فوجدتهم جميعهم يقفون على النافذة الزجاج ينظرون لي
والدموع تكسو ملامحهم.. حتى أبي.. فطلبت من الطبيب أن
يسمح لأبي أن يدخل لي الغرفة...

فسمح له الطبيب..

- ريم.. ابنتي.. لا تحزني.. فقد كانت أمك تعاني من مرض القلب طوال حياتها.. ولم نشأ أن نعلن هذا الخبر أمامكم.. فقد

كان المرض يفترس شرايين قلبها يوماً بعد يوم.. ولكن إرادة الله في أن يجعلها تستريح من كل هذا العناء... وواضح أنها تماسكت حتى اطمأنت عليك... فقد كانت دعوتها دائماً.. اللهم أصلح حال ابنتي ووفقها لما تحبه وترضاه... ثم توفي وخذني إليك... وقد استجاب لها ربك...

- حبيبتي يا أمي.... سأشتاق لها يا أبي... كنت أود رؤيتها يا أبي... لماذا جعلتها تذهب بدون أن أودعها...

- حبيبتي هذا الجهد الذي تبذلينه في البكاء سيجعل هناك خطورة عليك.. أرجوك يا صغيرتي تماسكي وكوني أقوى... لا تجعل قلبي يحترق أكثر مما هو يحترق....

- ماذا أصابني يا أبي؟ مل كل تلك الأجهزة التي تحاوطني؟ ولماذا أنا هنا كل تلك المدة؟ أخرجووني من هنا أشعر بأني أختنق هنا... يا عمر خذني معك.... أخرجني من هنا يا عمر...

أخذ عمر يستدعي الطبيب.. فأتى به مسرعاً.. دخل الطبيب وهو ينظر إلى أنفاسي ثم أعطاني حقنة ثانية لأذهب في النوم مرة أخرى.. فتحت عيني لأجد عمر يجلس بجانبني وحده... فحدثته بصوت مرهق:

- عمر..

- نعم يا حبيبتي.. كيف حالك الآن؟

— ماذا حل بي يا عمر؟

— لا شيء يا حبيبتى مجرد إرهاب بسيط وستكونين بخير.

— ولكن أُمِّي يا عمر..

[illegible]

ثم وضع يده على فمي: أرجوك لا تتحدثي في أي شيء يزيد من إرهابك.

فأخذت دموعي تتساقط كالأمطار.. ثم عاودت الكلام
ذهبت بدون أن أخبرها بأنني سأصبح أما... ذهبت بدون
أن أودعها... وأقبلها... وأخبرها بأشتياقي لها... فقد كنت
مقصرة معها طوال المدة الماضية... ليتني رأيتها... ليتني
احتضنتها... ليتني ودعتها...

الباب العاشر.. وداع الأحبة....

مكثتُ أنا حوالي أسبوع بالمشفى لا أدري ما الذي قد حل بي..
لا أحد يريد إخباري بشيء.. حتى عُمر يبكي بداخله
وأصبح وجهه شاحبا.. فهذا ليس بحبيبي.. تُرى هل
سأموت... ولكن كيف والجنين بداخلي ينام مطمئنا لوجوده
بيننا أنا وعمر... ما ذنبه حتى أموت قبل أن يراني وأراه...
هل إذا مُت سأخذك معي وستدفن بداخلي..

يا إلهي ما هذه الأفكار التي تراودني؟

دخلت الممرضة وبدأت في تجهيز الأجهزة بالغرفة.. سألها
عمر... أين الطبيب؟

قالت: دقائق وسيمر عليكم

أخذ عمر يقبل يدي وهو يثبت نظره على عيني... وكأنه
يشبع عينيه مني...

دخل الطبيب وبدأ في فحص النبض لدي.. ثم بدأ يسألني
عدة أسئلة:

- هل لديك في عائلتك مريض قلب من الدرجة الأولى

- نعم أمي.. ولكنني لم أعرف إلا متأخرًا.. ولكن لماذا؟

- للأسف قلبك ضعيف جدًا ويحتاج لتدخل جراحي في
أقرب فرصة.. وخصوصًا أن حالتك هذه نادرة.

فنحتاج لنقل قلب جديد مكان قلبك هذا.. فشرايين
قلبك مقسومة لنصفين.. نصف ممزق.. ونصف مسدود..
وهذه الحالة تعتبر نادرة من نوعها..

ويجب إيجاد متبرع يكون أو شك على الموت.. فيتبرع أهله
بقلبه لك قبل أن يغادر الحياة..

- كيف؟ لا أنا تمام لا يوجد بي شيء.. فقط هي لحظة وفاة
أمي أحسست بإرهاق.. ولكنني سأعود من أجل ابني..

- دكتورة ريم.. هذا الطفل لا يمكنكي الاحتفاظ به..
يجب إجهاضه اليوم.. فحالة قلبك لا تحتمل الحمل نهائيًا..

قال عمر: أوافق على أي شيء... الجنين لا يهم.. المهم صحة ريم.

صرخت أنا وأنا أحاول فك قيودي من تلك الأسلاك والخراطيم المحيطة بجسدي من كل اتجاه...

- لا يا عمر لن أتنازل عن ابني... أنا طيبة وأتفهم ما يقوله الطبيب.. ولكني أعلم أيضاً أنني إذا حرصت على العناية بنفسني سأتجاوز كل مراحل الخطورة..

- لك ما تشائين ولكن أنتِ المسئولة في هذه الحالة إذا أصابك أنتِ والجنين أي مكروه...

كتب لي الطبيب على خروج مع مراعاة السير على هذه الورقة التي تحمل عدة تحذيرات خاصة بالحفاظ على صحتي أنا وجنيني..

طلبت من عمر أن يذهب بي منزل والدي بعد إلحاح شديد مني..

دخلت على أبي واحتضنته ثم أخذني البكاء الهستيري.. أخذ أبي يهدئ من روعي... فاستأذنته في الدخول غرفة أُمي... دخلت وجلستُ مكان نومتها وأخذت أتحدث معها كأني أراها.. فرائحتها تملأ المكان...

حدثتها أنها كانت محقة في أنني أشبهها في كل شيء..

ملاحم الوجه.. وطيبة القلب... وقوة الصبر والتحمل...
والآن أحمل مرضها بقلبي... أخذت أشكو لها من الزمن..
وأنة لا يعطي كل شيء.. بل مقابل إعطائه شيئاً لنا.. يأخذ
أمامه كل شيء.. صرت أبكي حتى ارتفع صوتي.. فدخل علي
عمر واحتضنني.. ثم قال:

- ريم... انني أفهم شعورك هذا.. لا تنسي أنني مررت
به من قبلك.. ولكن الحياة أماننا.. وأنتِ اخترتِ الطريق
الصعب.. يجب أن تكوني على مستوى المسؤولية.. أنتِ قد
وعدتني الطيب بذلك.. حافظي على وعدك...

مرت شهور الحمل ما بين أوقات مُحاذفة وأوقات عصيبة..
إلى أن جاء، موعد خروج ابني قرة عيني للنور ليرى الحياة
من خلالي أنا..

مرت ساعات ولادتي على خير.. فقد كان الله معي في
أصعب لحظاتي... حتى استيقظت على صوتك يا عشق
الروح يا عمري...

ما أجمل صوت بكائه.. يجعلك تتحمل كل الآلام مقابل
تلك اللحظة.. بل تستمد قوة إلهية تجعلك تزداد صلابة
وتصر على الوقوف مرة ثانية لتجعله يسعد في الحياة..

- إنه ابننا يا عمر... هل تأذن لي أن أسميه أنا؟
- لك ما تشائين يا حبيبتى.. فأنتِ من تعبتي في حمله..
- ماذا قد اخترتِ لهذا الملاك الصغير.
- أسميته (مالك) فهو قد ملك قلبي...
- ما أروع اسم... (مالك عمر) جعله الله ذرية صالحة لنا..

الباب الحادي عشر

ما بين الضعف والقوة

اليوم أتم مالك حبيبي عامه الأول... تبارك الخالق فهو
يشبهني تمامًا... اليوم أعددت حفلة صغيرة تجمعني أنا وعمر
ومالك ووالدي...

انتظرنا عمر كثيرًا لم يأتي وكلما حاولت أنا وأبي أن نتصل
به.. نجد هاتفه مغلقًا..

لا أعلم لماذا قد آلمني صدري هكذا... اشعر أن زوجي قد
أصابه مكروه..

ظللنا هكذا حتى صباح اليوم التالي.. فإذا بطبيبي الخاص
بحالة قلبي يتصل بي..

- الووو

- مرحبًا يا دكتور أحمد..

- مرحبًا.. يا دكتورة ريم.. كيف حالك؟

- تمام.. بخير الحمد لله.

- دعيني أخبرك أنني قد وجدتُ متبرعا لحالة قلبك...
سي تبرع أهله بنقل قلبه لك.. وقد اتصلت بعمر ليلة أمس
وحضر معي إنهاء الإجراءات الخاصة بالأوراق اللازمة ولكنه
قد نفذت بطارية هاتفه.. فإنجازًا للوقت اتفقنا أن أبلغك أنا
بالحضور إلى المشفى بعد ساعة.. وجهزي حالك لإجراء تلك
العملية الجراحية.. فحالة نقل القلب لا تستدعي التأخير..

- ولكن أين هو عمر؟

- عمر!!!!!! ذهب ليختم الأوراق من الجهة المختصة لمثل
هذه الحالات... عندما تحضرين سيكون هو هنا لا تقلقي...
اتصلتُ بأختي لتأخذ مني مالك...

مررت أنا وأبي على منزل أختي رانيا وسلمتها مالك ومن
ثم ذهبت أنا وأبي للمشفى واستقبلني طبيبي ف غرفته لإمضاء
بعض الأوراق بتوقيعي أنا مع احتياجه للبطاقة الشخصية لي.
ثم نادى على ممرضته (علا) لتصطحبني لإجراء بعض
الفحوصات اللازمة..

- ولكن يا دكتور... أين عمر؟

- لا تقلقي.. فعمر ينجز الوقت حتى تصيري بأفضل حال
بأسرع وقت ممكن..

- وهل سأجري العملية بدونه...

- لا طبعاً.. سيكون معكِ.. ولكن عليكِ الإسراع للانتهاء
من الفحوصات سريعاً.. فالتأخير ليس لصالحنا..

انجهت إلى غرفة أخرى وبدلت ملابسني وارتديت ملابس
المشفى.. خضعت لعدة فحوصات طالت لمدة ساعة..

خرجت لأجد أبي فقط هو من ينتظر على المقعد أمام
الغرفة بالخارج.. ولكنه كان يبكي...

- ماذا بك يا أبي؟ لماذا البكاء؟

- لا يا حبيبتني.. أنا فقط قلق عليك..

- لا تقلق يا أبي... أريد أن أكون بخير لأجلكم.. وأريد
أن أعاود عملي... مهنتي كطبيبة... ولكن يا أبي أين عمر..
لماذا قد تركني منذ أمس بدون إخباري بأي تحركات له...
فهو لم يفعلها من قبل... الأمر به شيء مقلق... لو كان لديه
معارف أو إخوة.. كنت اتصلت بهم.. وسألتهم أين كان منذ
ليلة أمس..

- يا ابنتي.. ألم يخبرك الطبيب بأنه منهمك في إنجاز الأوراق
الخاصة بعمليتك... وأنه يريد أن يطمئن عليك..

- من فضلك أعطني حقيبتني يا أبي.. أريد هاتفني... أريد أن أطمئن عليه..

أخذت حقيبتني من يد والدي وأخرجت هاتفني وكررت المحاولة في الاتصال على عمر.. ولكنه بلا جدوى.. مغلق أيضًا..

صممت على رأيي وقلت لأبي لن أتم أي أوراق أخرى ولن أخضع لإجراء تلك العملية إلا أن يأتي عمر ويكون بجانبني... وأطمئن عليه..

سمع صوتي العالي طبيبي.. فأتى الي وهو يردد نفس حديثه.. ريم أنتِ طبيبة وناضجة... بمعنى أنك تعلمين أن كل ثانية فيها تأخير، لن ننعم بمتبرع آخر إلا في علم الغيب وتؤجل العملية وقتها لأجل غير مسمى... أرجوك اطمئني.. عمر بخير... وهاتفه معي بالغرفة.. تركه حتى يتم شحن بطاريته كاملة إلى ان يعود.. هل الآن قد اطمئننتي!!

نظرت إليه في حيرة.. ثم انطلقت معه إلى غرفة العمليات..

كانت بها ستارة بالمنتصف تقسم بيني وبين أحد آخر..

صوت جهاز التنفس لديه يعمل في ذلك اللون أسود اللون الذي ينخفض ثم يعلو في الحجم دليل على عملية التنفس أنها تعمل...

فسألت طبيبي:

- من هو الذي سيتبرع لي؟ أيمكنني رؤيته؟
 - لا يا ريم... فرؤيتك له ستوتر أعصابك.. لمجرد التفكير بأنك علمت أنه هو ذاك الذي سيعطيك قلبه.. دعينا نبدأ...
 - يا دكتور.. كنت أريد أن أودع عمر... فلعلنا لن نلتقي مرة أخرى.. أريد أن ألمس يديه وأقبله..
 - عزيزتي.. لا تقلقي.. فعمليتك نسبة نجاحها مضمونة بنسبة عالية.. وهناك كونسلتو من الأطباء ذوي الخبرة في مجال هذه العمليات سيكونون معي.. أرجوك هدي من روعك.. فهذا التوتر لن يفيد قبل إجراء العملية..
-

أربع ساعات في غرفة العمليات يفصلني عن متبرعي ستارة لينقذ قلبي بقلبه هو...

تم إنهاء نقل القلب بنجاح... أخذت حوالي ساعة إلى أن استرددت وعيي... لأجد نفسي داخل غرفة أخرى وما زال بجانبني ستارة تقسم الغرفة...

دخل الطبيب واطمأن علي... وطمأنني بنجاح العملية..
وأني الآن تحت الملاحظة حتى تستقر حالتي..

ثم بدأ يتوجه للخروج.. فنادته:

- دكتور أحمد.. أين عمر؟

- دكتورة ريم، أنتِ مؤمنة بالله

- نعم.. ونعم بالله

- ومتفهمة لأمر الدين والعلم

- نعم.. ولكن لماذا كل هذا الكلام

- أما زلت تريدين أن تعرفي من هو الشخص الذي تبرع
لك بقلبه...

- نعم.. ما زلت أريد.. ولكن أولاً أريد عمر

- حالاً.. سأتي لك بعمر..

أزاح الستار الفاصل بيني وبين السرير الآخر.. ثم استدعى
المساعدين له بتقريب المسافة بيني وبين السرير الآخر..

ثم قال لي: ها هو عمر..

قلت: ماذا!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!! كيف... لماذا... ماذا فعلتم به

فصممت على نهوضي من السرير.. ولكن هذا كان من
أصعب الأشياء... لا يوجد بي قوة..

نهضت برأسي.. لأجده نائماً.. شفتاه صارت زرقاء..
عيناه.. أصبحت بيضاء مغلقة... تم تغطية جسمه كاملاً.. لا
أرى سوى ملامح وجهه.. فصرخت...

- ماذا فعلتم بروحي... لن أترككم... سوف أنتقم منكم..

فاتجه نحوي أبي والطبيب.. ثم قال أبي:

- ريم.. عمر حدثت له حادثة إصطدام سيارة بالطريق
وهو عائد إلى المنزل.. فتم نقله إلى المشفى.. وظل فاقد الوعي
لساعات.. ثم أراد الله له أن يسترد وعيه فعلم من الأطباء
أنه ف خطر وأصبحت حالته بين يدي الله.. وأنهم ليس
باستطاعتهم فعل شيء له..

فتمتم بكلمات أنه يريد التحدث للطبيب أحمد وجعلهم
يطلبونه من هاتفه... فعندما علم الدكتور أحمد أسرع مهرولاً
له... فإذا به يعلم حالته من الأطباء بالمشفى وأنه كاد أن
يفارق الحياة... فأسرع طبيبك بالدخول إليه ليخبره أحمد أن
يسرع بنقل قلبه لك.. قبل فوات الأوان... وقد وقع على
ذلك... ويشاء ربك أن يمد في لحظات عمره.. حتى يسلمك
قلبه...

والآن هو يحمل في كف يده ورقة جعلني أكتبها له بحروف
شفتيه هو... وأصر أن يضعها ف يده حاملاً لك إياها متشبثاً
بها... ظل مغلقاً يده عليها... ولم يفلتها..

كل هذا وأنا أتمزق.. لماذا يا عمر لم تبلغني... أكل الأحباب
فارقوني..

ثم أخذت الورقة بيدي المملوءة بالمحاليل ...

«جبيتي.. بل أنتِ نفسي.. عاهدت الله منذ أن خفق قلبي
لكِ بأنني لن أتركك... والآن قد وفيت بوعدِي لكِ.. عندما
علمتُ بشأن رحيلي.. قررت أن أسلمك قلبي.. أرجوكِ
حافظي عليه من أجل ابنتنا مالك..

ودائماً اعلمي أنكِ لست وحدكِ»

كُنتَ أَمْسِي
وَأَصْبَحْتُ حَاضِرِي

المقدمة

بدايةً كنتُ أظنُّ أن أجمل مراحل عمري هي مرحلة
الثلاثين...

ولكنني قد اكتشفتُ أنها بدايةً للعد التنازلي والحقيقة أنه
ليس هناك أي شيء يدعى (أجمل سنين العمر) لأنه ليس
له وقت محدد فنحن من نصنع هذه المرحلة الزمنية بعقولنا
وأيضاً لنضوج عقولنا دور كبير هنا.. فبحكمة عقولنا نقوى
على تخطي الصعاب.

الجميل في عمرنا هو لحظة نمو القلب فليس كل ما نراه
هو بالضرورة أن يكون حقيقة تدق له القلوب وترمش له
العيون.. هناك أشياء جنونية نمر بها ونعتقد أنها حقيقة ولكنها
في حقيقة الأمر ما هي إلا (سراب العمر).

فعرنا محطات ولكل محطة مُسمى وشكل ولون ورائحة...
فكلما ذهبنا للوراء بعقولنا وشردنا نشتمُ رائحة كل ذكرى
قديمةٍ كانت..

وكلما اقترب منا رائحة شبيهة كرائحتها على الفور نتذكرها
وتمر أمامنا صورة لها سواء جميلة كانت أو حزينة وربما تكون
عادية فكلها مواقف للزمن تُعلمنا وتهمس إلى قلوبنا...

(عزيزتي وصغيرتي).....

أعلم جيداً أنكِ قد جربتِ لوعة العشق ربما مرة واحدة
أو أكثر من مرة.. ولكن الذي أعلمه أنه لكل قصة عبرة عن
غيرها وما أعلمه أيضاً أن البداية واحدة ولكن النهاية دائماً
مختلفة ..

كل القصص صفحات مطوية وحب الفضول يقتلنا لنعرف
ما تحتويه هذه الصفحات.. كتبنا جميعها مدونة بالخبر الأسود
ولكن إحساسها هو من يتحكم في اللون المفروض لكل
صفحة داخل كل قصة نكتبها برونقها وشكلها المختلف...

الباب الأول

أبدأ معكم بعمر (تفتح الأزهار)...

أطلقت عليه ذلك المسمى لأنها أول مرحلة ترسم شكل الزهرة وملامح جمالها وتبدأ منها بداية جذب الانتباه لكل من يقوم بالنظر إليها أحياناً تجدد من يلتفت إلى جمالها ويتدرج الأمر إلى أنه يميل يشتم رائحتها ثم يبدأ في لمسها وأخيراً تأتي مرحلة النهاية وهي قطفها... ولكن لو كانت تلك الزهرة منذ البداية أظهرت شوكتها لكان اختلف الأمر كثيراً وكان بقي الوضع كما هو عليه واستمرت تلك الزهرة في نموها داخل بستانها وسط بقية أزهارها..

- هكذا أنتِ يا صغيرتي...

صوني نفسك فالزمان غدار يمكر ويتلون وأنتِ مازلتِ ملاكا صغيرا لا تعلمين عن ذلك المكر شيئا فالعيب ليس

فيك ولا في الزمان أيضًا.. بل العيب في جيل لم يفقه من الأهل
لدينه شيئًا ولا لشريعته.

جيل لا يعلم عن فترة شبابه شيئًا سوى أنه كيف
يصبح صيادا وكيف يوقع فريسته في شباكهِ ليصبح أمام
أصدقائه (المملك) صاحب أكبر عدد من الفريسات ويبدأوا في
السباق على من فيهم الأفضل ويبدأ كل منهم بسرد قصصه
وحكاياته...

والأغرب هنا أنه لا يوجد في قلوبهم أي تأنيب ضمير أو
لوم نفس.

- عزيزي:

أنت لست في غابة تفعل بها ما أردت وقتما شئت، ولا
داخل حلبة صراع لمن هو الأقوى.

أنت في الحقيقة خلقت بطلا ولا بد أن تظل هكذا استوعب
أرجوك ما أقوله لك ف الحياة يا ولدي محطات فافعل بها ما
شئت لأنك في النهاية كما تدين تدان.

الباب الثاني

في مرحلة منتصف العشرين...

أنا لست ضد قصة صداقة الشاب والفتاة أبداً ولكن لكل شيء حدود...

أعلم أن في مجتمعنا هذا قد تعودنا على الاختلاط في العمل والمواصلات والوظائف والمدارس وحتى في المطاعم والكافريات أيضاً فهل هذا كله يعطينا الحق في أن ننسي الأهم لأنفسنا.. فكرامتك يا صغيرتي هي تاج رأسك.

- فأنت يا عزيزي...

عندما تتقدم لخطبة أميرتك وتزوجا فستصبح أبا وأنت أيضاً يا عزيزتي سوف تصبحين أما.. فسوف يأتي فارسك على حصانه يأخذك إلى عالمه فكونوا قدوة يتحاكى بها أولادكم وكونوا مثالا لأقاربكم وكونوا نورا يضيء لمن حولكم كونوا قمرًا في ظلمة غيركم..

- كل حرف أنا أكتبه وكل كلمة أضعها هنا في كل سطر
عبرت لكم عنه فهو من خلال تجربتي للحياة فأنا كنت في
عمركم ذات يوم من الأيام ودرست وتخرجت وتنزهت
وتوظفت أيضًا بإحدى الوظائف وعشقت وعُشقت وكل
ما مررت به ومازلتم تمرون أنا حظيتُ به مثلكم في خزانة
حياتي..

فلتسمحوا لي أن أكون في عالمكم على الأقل هنا على سطور
أوراقتي وتكرموا بقراءة حروفي وكلماتي.

البداية

- حقًا تمنيتُ يومًا أن أصبح معشوقة حقًا أردتُ منك يا ربي
أن تعطيني ما أردته..

توقفت ساعات الكون كله عندك يا حبيبي...

صارت أنفاسي تتهامس بحروف اسمك..

فليلاً كنت تأخذ نصيبك في أحلامي ونهارًا كنت لا أرى
من حولي بل أراك أنت في كل من هم حولي.

كنت أنت عالمي إذا حاولت إغماض جفني كنت أراك
أنت في ظلمتي نورًا يحيي بصيرتي..

كنت أتدهور عشقًا عند رؤيتك أمامي..

وأموْتُ خجلاً من نظرتك لي.. وأذوبُ منك إذا تلامست
أيدينا عند السلام وأصيرُ طفلة من همس كلامك إذا همستني
همسة واحدة، حقاً لم أر بالوجود مثلك.. صار نظري مرهونا
بك... فأنا لم أعد أستطيع أن أرى في غيابك عني..

نعم يا حبيبي فأنا تنعدم رؤيتي صدقني في غيابك.. أصيرُ
امراً عجوزاً هرمة لم تعد تقوى على الحركة..

وتصير شهيتي عن الطعام تكاد تكون منعدمة فلم تعد
لحياتي طعم بدونك...

- حتى في صلاتي فلتسأخني يا الله فقد سخرتُ دعائي كله
له هو فقط..

فقط تجمعت كل دعواتي في أن يجمعني الله بك..

حتى مرآتي لم تعد تعكس صورتي بل صارت تعكس
صورتك أنت كلما دقت النظر إليها أجذك أنت أمامي.

- صرتُ أفكر دائماً بك.. فيمر العمر يا عمري وأنا ما زلت
سجينة لعشقتك أنت.

حتى في كتاباتي أصبحت أيضاً أسطر سطوري لك، ربما
إذا قرأ أحدكم كلامي هذا سيلقيني بالجنونة فأنتم معذورون
لأنكم لم تروه بعيني أنا ولم يحفر في قلوبكم اسمه ولم تحتفظ
عقولكم بتفاصيله مثلي.

نعم أقولها معلنة (أعشقك.. أحبك.. وأريدك) خذني
إليك إلى عالمك أنت.. فانا لا أريدهم جميعا بل أريدك أنت.

فالعالم يا حبيبي بالخارج أمامي ضباب كامل.. إنما عالمك
أنت جنة بنور الحب تسطع.

أنا لا أريدك أن تقولها لي.. بل أريدك أن تسمعني وأنا
أعلنها.. فأحيانا أظن نفسي مجنونة بك، بل أظن نفسي ذاهبة
إليك حافية القدمين.

حقيقة إنني أرتدي حذائي ولكن كل ما في الأمر أنني أسير
مسرعة مهرولة في طريقي إليك فيأخذ الهواء مجراه في قدمي
فينعكس إحساسي الطائر هذا بذاك.

وأحيانا أظن أنني عارية من شدة برودة جسدي وأنا أقف
أبحث عنك في وجوه الناس حولي..

أتعلم يا حبيبي! قد شاب شعري رأسي ولم أقو على نسيانك
وصار أبناء صديقاتي مقبلين على الجامعات وأنا مازلت
أنتظرك..

- لماذا؟ لماذا تقسو علي هكذا؟ ألسنا قد اتفقنا على أن نسير
في الحياة سوياً؟

قد تركتني أنت أمرٌ بصعاب الحياة وحدي بدونك..
تركتني أواجه غضب أبي عندما علم بأننا قد أحينا بعضنا

البعض . قد قدتُ حرباً لم يخضها أحد من قبلي .. ولن يتحملها
أحد من بعدي .

قد خاصمني أبي وصار يلتفتُ لي دائماً بنظرة قسوة .. نظرة
كانت تصيبُ قلبي كالرصاصة عشتُ بها سنين بصدري .
سنين من الصمت في منزل أبي تمر علينا .. كنتُ أحادثه
فقط بعيني .

كانت دائماً عيني تسأله ماذا قد فعلتُ أنا من ذنبٍ ؟

أكل هذا الظلم فقط لأنني أحببت؟؟

أتعاقبني أنا يا أبي أم أنك تعاقب قلبي ؟

فوالله الذنب ليس ذنبي بل هو ذنبُ قلبي ..

كانت دموعي لا تتوقف أعتقد أنني لو كان هناك بئر جاف
لكان امتلأ من كثرة بكائي .. والله حتى إني كنت أسميته (بئر
الحرمان)

وأنت يا أمي ؟

قولي لي ما هو ذنبي معك ؟

هل توقفت حياتكما على قصة حبي ؟

أرجو كي يا أمي اقتلوني إذا كان هذا فيه الراحة لكم ..

فأنا سواء هكذا أو هكذا قد متُّ من لحظة وجودي سجيناً
في ذلك المنزل..

- أنا لا أعلم عنه شيئاً ربما قد تزوج..

أو ربما سافر.. لكن من المستحيل أنه قد مات.. لأن قلبي
ما زال ينبض به.

كنت من الأكيد سأشعر فقلبي سيخبرني إذا أصابه مكروه..

كثير من الأفكار تحومُ داخل رأسي لا أجد لها جواباً!!

هو فقط من استطاع أن يشاركني وحدتي، ذلك هو
(قلمي) صار يكتب ويكتب ويكتب..... دون أن يكل أو
يمل.. هو فقط من شاركته سري.. ولماذا أسميه سرا؟

فقد أشهدت الله قبل أن أشهد العالم على حبي لك.

أين أنت يا عزيز القلب؟

أين أنت يا دواء الروح؟

مرت أيام ولم أعد أظهر حزني أمام أبي وأمي كما بالسابق
وذلك لسوء تدهور حالتها الصحية وتقدمهم بالعمر..

وأصبحت حياتي تدريجيّاً تبدأ في الرجوع إلى الحياة الطبيعية
كما كانت عليه.

لم يمر الكثير على مرض أبي.. أحداث قليلة وتوفي أبي وترك
لنا الحزن مكانه نتشاركه أنا وأمي وحل الصمت على المكان.

لم يمر الكثير حتى رحلت أُمِّي إليه..

لم أنكر أبداً أنك كنت سبباً في تفريقنا طوال السنين الماضية..
فقد كنت قبل أن أعرفك أسعد ابنة بالعالم لأجل أب وأم بالعالم..
مرت أيام وصرت وحيدة وبدأت أشعر لأول مرة بمعنى
الوحدة الحقيقي.

أصبح عمري اليوم خمسة وثلاثين سنة لم أحظ في هذه الحياة
منذ تاريخ معرفتك إلا بالقليل من السعادة وكثير من الحزن.

أعتقد أنك أيضاً أتممت الثالثة والأربعين من عمرك من
الأكيد قد صار لديك بعض الخصل البيضاء بشعرك لا بد أنه
يليق بك ذلك اللون الأبيض بخصل شعرك.

ومن الممكن أن تكون قد صرت بديناً قليلاً.. أعلم أنك
تعشق الطعام الدسم..

حبيبي ما زال رائحة عطرك في أنفي، هل صار نظرك
ضعيفاً قليلاً فقد تكون من الممكن قد ارتديت نظارة.

أرجوكم وأنتم تقرأوا كلماتي هذه لا تسخروا مني ولا
تسرعوا بالحكم علي، ولا تتفاوتوا صفحتاتي سريعاً لمعرفة
النهاية.. فكل شيء باوانه يكون أفضل..

دعوتُ الله مرارًا وتكرارًا على أن ألقاك وأصير زوجة لك
ولو لمدة قصيرة.. فقط أريد أن أعرف كيف هو ذلك الشعور
وأنا مكتوب اسمي بجانب اسمك في سطر واحد ويختصرهم
بين قوسين كلمة (زوجة) و (زوج).

كم هو جميل مظهر تلك القطعة المستديرة وهي في إصبعي
بيدي اليسار محفور بها بالداخل اسمك.. كم هو جميل ذلك
اللون الأبيض الملائكي في فستان زفافي وأنا أرتديه..

فمنذُ خمس عشرة عامًا صار حديث بيني وبينك أذكره إلى
الآن جيدًا.. وكأنه كان ليلة أمس.

«كنا قد اتفقنا إننا بعد زواجنا سننجب أطفالا كثيرة
وأولهم اسمًا (مهند) و ثانيهم (تقى).

يا له من إحساس رائع وأنا أسير معك أمام أعين الناس
وأحمل في بطني ملاكا صغيرا منك..

لا أنكر ذلك الشعور أبدًا.. فإنه يراودني دائمًا كلما غفت
عيني ..

فشعاع حُبك له مفعول سحري على قلبي قد أطلقت أنت
سهامه علي ورحلت....

الباب الثالث

بدأت أخرج من قوقعة منزلي إلى العالم الخارجي

يااااه رأيت أناسا كثيرين حولي.. أتعلم لقد تغير العالم
كثيرًا أو ربما كنتُ أنا مغمضة العينين كثيرًا الأجل في خروجي
هذا هو أنني سوف أبدأ برحلتني (رحلة البحث عنك)
-اليوم عيد ميلادك أذكره جيدًا...

كل عام أشتري لك هديتك.. فهذا اليوم له تاريخ مقدس
محفور بقلبي...

فهذه هديتك السادسة عشرة وسوف أخبئها كالعادة في
صندوق غرفتي.. أعلم أننا سنلتقي يومًا ما وأسلمك ذلك
الصندوق بنفسني فقد غلفتهم جميعهم بنفسني وبنفس اللون
المفضل لديك.. فأنا أعلم أنك تعشق هذا اللون لون نقاء
قلبك (الأبيض).

-بالفعل اتجهت إلى بيت إحدى صديقاتي وهي تقيم في أحد الأحياء الشعبية.. تدعى (نور) كانت رفيقتي في المرحلة الإعدادية كنت أعشق منزلهم جدًا لدرجة أنني كنت أقضي فيه معظم أوقاتي أثناء دراستي.

اقتربتُ من باب منزلها.. وضغطت على زر الجرس فتحت لي طفلة صغيرة فسألتها عن اسم صديقتي..

قالت: هل تقصدين أمي؟

ثم نادت عليها: أمي.. أمي.

خرجت علي نور وكانت ملامح الحزن قد احتلت أركان ملامحها ثم قالت لي:

- من أنت؟

قلت: كيف حالك يا نور أنا (ليلي).

قالت: ليلي من؟ ليلي يحيى؟

قلت نعم وأنا أبتسم وأهز رأسي.. رحبت بي واحتضنتني ثم طلبت مني الدخول.

نسيْتُ أن أخبركم باسمي فقد قلتُ أترككم مع أحداثي تعرفوه.. وأيضا اسم حبيبي سوف تعرفونه من الأحداث التالية.

- أخذنا الكلام والوقت قد مضى سريعاً وعلمت من نور أن والديها قد توفيا مثلي تماماً.. بالإضافة إلى أنها منفصلة عن زوجها وتقيم هنا في بيت والديها بأطفالها ثم تداولنا أرقام هواتفنا وودعتها وانصرفت.

تعبت اليوم من خروجتي هذه.. عدتُ إلى من منزلي وأغلقت باب الشقة جيداً ووقفت أتأمل صورة أمي وأبي على الحائط بالصالة وأخبرتهم عن يومي كيف كان فأرواحهم تكمن معي.

ثم دخلت إلى غرفتي وأشعلت الضوء واتجهت إلى الصندوق الخشبي ذي اللون البني الموجود على الأرض بجوار فراشي.. وأخرجت منه صورتك القديمة تلك التي أعطيتني إياها عندما كنا في الحديقة..

فقد استطعت أن أخبئها كل تلك السنين بعيداً عن عين أبي وأمي بدون أن يعلموا عنها شيئاً، أعرف يا حبيبي لماذا؟

لأنني كنتُ أحملها دوماً بجوار قلبي فهذا هو المكان الوحيد الذي لم يستطع أحد الوصول إليه.

أتعلم أن صورتك هذه تهون علي ليالي كثيرة من الوحدة؟ وتمنع عني أفكارا بالليل تأتينني من هذه الغرفة، تلك الغرفة المقابلة الخاصة بأبي وأمي فهي أصبحت مظلمة منذ رحيلها عني..

أحياناً يخیل إلي أن هذه الغرفة تبكي على فراقهما.. حقيقة الأمر أنا التى تبكي على فراقهم.. فقد أصبحت من بعدهم وحيدة أكثر من اللازم.. فأنا ما عدتُ أملك بالحياة أحداً لا من قريب ولا من بعيد..

في الحقيقة لي خال واحد بالخارج يعيش في (كندا) لا أعلم عنه شيئاً ولا حتى إذا كان سيعود أم لا؟

ولكن كل ما أعرفه أنني أصبحتُ وحيدة بتلك الحياة فالجيران هنا جميعهم لا يختلطون بأحدٍ.. مجرد إلقاء تحية السلام على بعضنا البعض إذا تقابلنا صدفة ذات مرة.

اقتربت الساعة من منتصف الليل...

دعنا يا حبيبي نطفئ الشموع سوياً

«كل عام وأنت بقلبي.. كل عام وأنت ملكي أنا..»

كل عام وأنا قوية بك»

أرجوكم لا تتهامسوا علي وأنتم تقرأون كلماتي.. أنا لستُ مجنونة.. بل أنا عاشقة..

اعذروني ولا تكونوا قاسين مثل الزمان علي، فأنا لم يعد لي غيركم يستمع لي الآن..

-في نهار اليوم التالي استيقظت من نومي وجهزتُ فطوري
الذي تحبه أنت جُبْن وخبز وكوب حليب ساخن.

ثم ارتديت ملابسِي فاليوم هو موعد صرف معاش أبي
بما كينة الآلي الخاصة بالبنك.

كان يومًا شاقًا مليئًا بالازدحام.. ففي كل مكان أخطو
خطوة فيه أقابل أشعة الشمس الحارقة تحاوطني..

أنهيتُ صرف المعاش واتجهت إلى أحد محلات البقالة
الكبيرة واشترت لوازمي.. لملء ثلاجتي ثم عدتُ إلى منزلي
مرة أخرى..

قررت أن أصنع غدائي لنفسي.. فمن الواضح أنني قد
أهملت حالي كثيرًا في الأيام الأخيرة.

تذكرتك يا أمي وأنتِ توصيني بنفسي..

كنت لا أعلم عن فن طهي الطعام شيئًا.

سرحت قليلًا ثم تذكرت أن هاتفي به شبكة إنترنت
بحثت عن عدة طرق لإعداد الأكلات ومن ثم بدأت في
الإعداد حتى أنهيت كل ما أردت صنعه..

وخرجت إلى الصالة لأستريح على طاولتي المستديرة
الخاصة بالطعام لدينا، كم كنتِ ترهقين نفسك علينا يا أمي
ولا تتفوهين بكلمة واحدة..

وكنّت بالرغم من تعبك هذا تطلين علينا بابتسامتك الجميلة..

(رحمة الله) عليك يا أمي أنت وأبي.

أتعلم يا حبيبي كم كان الطعام رائعا ولكنه لم ينضج جيداً وأيضاً ملحه كان زائداً..

لا تنس أن هذه أول مرة أحاول فيها أن أطهو طعام مثل ذلك..

جلست أفكر ماذا أفعل في ذلك الوقت؟

فالملل يتمكن مني.. ثم خطرت لي فكرة.. اهالال... سوف أتصفح النت بهاتفني.. فتحت حسابا خاص بي وأسميت صفحتي (كنت أمسي وأصبحت حاضري)

وفي خلال دقائق ظهر لي أصدقاء جدد.. في الحقيقة أنا لا أعرفهم ولكن لن يخسر قبول طلبات صداقتهم في شيء.

أتعلم يا حبيبي أن عالم الفيس بوك هذا ممتع.

- قررت أن أستريح وذهبت إلى غرفة نومي واستلقيت على فراشي لأخذ قسط كاف من الراحة.. وتأملت سقف غرفتي دقائق..

تذكرت يوم التفات قلبي إليك قبل عيناى فقد كان هذا لقاءنا الأول عندما اصطحبني أبي معه لزيارة صديقه ورأيتك

لأول مرة شابا وسيا مكتمل الرجولة.. تمتلك من الأناقة ما يكفي لجذب أي فتاة فلكحل عينيك الرباني سحر خاص جعلني أتناسى وجود أبي وصديقه بالمكان وأراك أنت فقط تملأ الأركان حولي بدأت أنت أيضًا تسلط عينيك على وجهي ..

وكان بريق عينيك أصبح أمامي كالمرآة أرى جمال وجهي به لأول مرة هكذا فكم أنا جميلة بعينك يا حبيبي ..

أحببت ملاحي لأجلك.. وعشقتُ الحب لأجلك... بدأت عقارب الساعة على وشك انتهاء الموعد بين أبي وصديقه وقد أنهموا حوارهم بجملة وكأن الله جعلها سببا لبقائي بك بقية العمر ..

فقال صديق أبي: لا تنس قصة البحث عن شخص ماهر يجيد الكتابة على جهاز الكمبيوتر ففرح قلبي جدًا لأنني أستطيع الكتابة السريعة بل أنا ماهرة بها وأنهننا سلامنا وذهبننا وأنا أرتحُّ من سحر عينيك ما أستطيع ارتحاقه ليجعلني أستطيع الصبر والتحمل على مغادرتي وبُعدي عنك ..

ذهبننا وأثناء الطريق تحدثت مع أبي عن فكرة أن أساعد صديقه ولكن أبي كان متشددًا في العادات والتقاليد وأصر على أنه لا يصح أن أتواجد بمكتب يتواجد به الرجال كثيرًا ..

فذهبت إلى المنزل وتحدثتُ مع أُمِّي أثناء تواجدنا بالمطبخ لإعداد الطعام لأبي ولكنها أيضًا صرخت بوجهي مكررة على

مسمعي لا يصح ولا يجوز فما كان أمامي إلا أن آخذ رقم صديق أبي وأحادثه بصوتٍ متخافتٍ بدون لفت انتباه أبي وأمّي لي وأقنّعه بأن يتحدث مع أبي بشأني بدون أن يخبره شيئاً عن محادثتنا هذه..

فوافق وأغلق معي الهاتف بجملة ما يريده الرحمن يقدمه بمشيئته...

ليأتي الصباح وأجد أبي يعلو صوته أثناء محادثته بالهاتف وفجأة نادى علي بعلو صوته..

فذهبت إليه سائلةً إياه: ماذا بك يا أبي؟..

فقال لي: هل أنتِ، واثقة أنك تجيدين الكتابة السريعة؟

فقلت له: نعم

فقال لي: إذن جهزي حالك لآخذكِ إلى المكتب عند صديقي فسوف يقوم بتمرينك لديه. فأخذت أرتدي ملابسِي بسرعة وأسرعت مهرولة إلى أبي فقد كان يحول بخاطري هل سأجدك هناك يا حبيب القلب أم أن القدر قد كتب لي لقياك مرة واحدة فقط.

وبالفعل وصلت إلى المكتب كان مكتباً هادئاً نوّعاً ما يمتلئ بأجهزة الحاسب الآلي بكثرة..

ويوجد به أجهزة تبريد كثيرة أيضًا ومكاتب ومقاعد كثيرة
ومن الواضح نجاح هذا المكان لوجود عملاء كثيرة هنا..

أخذ صديق أبي وكان يدعى (سعيد) يعرفني على طبيعة
الشغل وأخبرني بأن عدد ساعات العمل ثمانية ساعات
باليوم وبأن موعد عطلتي هو الجمعة من كل أسبوع وأخذ
مقعدي إلى الوراق وقال لي: اجلسي هنا.. فجلست وفتحت
الحاسوب الذي أمامي فبدأت بالاستفسار منه عن ماذا علي
فعله وأخذت أبدأ في الكتابة من الملفات التي أمامي وأخذني
الانهاك فأنما لم أعتد على مثل هذا المجهود من قبل.

إلى أن أسمع صوت أحد يلقي علي السلام فأقوم برفع
رأسي عاليًا لأجده أنت أمامي بطلتك الوسيمة الباهية..

فسرحتُ بملاحظك حتى كدتُ أن ينطق لساني بكلمة
(أحبك) ولكنني تماسكت ف اللحظة الأخيرة فتركتني أنت
واتجهت نحو مكتب أستاذ سعيد ومكثت عنده بالداخل أكثر
من ساعة وعند خروجك من مكتبه أخذت مقعد خاص
بالمكتب المتواجد بجواري وأخذت تدقق النظر بي فكلما
هممتُ بالتطلع إليك أجده لا تسحب ناظره عني..

واقترب موعد انصرافي فنادى عليك أستاذ سعيد موصيًا
إياك على توصيلي إلى المنزل وتوصيل سلامه إلى أبي..

في هذه اللحظة كدت أتراقص فرحًا كالأطفال.. فلوحة الحب بداخلي تريدك أن تكون معي..

وبالفعل انصرفنا أنا وأنت وأخذت طوال الطريق تقص علي قصة كفاحك وكم من شقاء قد عانيته منذ طفولتك وعندما اقتربنا من منزلي قلت لي: غداً هو ميعاد توصيل ملفات إلى عملاء المكتب بالمنطقة المجاورة للمكتب بمصر الجديدة وأنت سوف تعتذر لأستاذ سعيد عن مجيئك غداً لتغلق أمامه كل الأبواب حتى يفقد الأمل بإرسال أحد غيري بدلاً عني... فيضطر لإرسالك أنت بدلاً عني.. فأقابلك أنا بالشارع الخلفي للمكتب..

فوجدت نفسي أهز رأسي موافقةً إياك فيما قلته وصعدت أنا إلى أعلى بدونك..

فقد اعترضتك ومانعتك على الصعود معي بأعلى عند أبي..

لعلمي بالمشاجرة التي كانت سوف تحدث بيني وبين أبي وأمي إذا وجدوك صاعداً معي لأعلى أمام الناس واضطرت لإخفاء توصيلتك هذه عنهما..

وصلت إلى منزلي وتناولت العشاء معهم وجاوبتهم على جميع أسئلتهم بدايةً من كيف كان العمل؟ متى ستستيقظين غداً.. أنهيت طعامي واتجهت إلى غرفتي لأبحث بخزائني عن ملابس، أنيقة أرتيها بالصباح.. واليااا يا حبيبي لا أدري ماذا

فعلت بي هل ألقيت علي بسحرك فقد صرت أتمتم بحروف
لسمك بدون أن أعني أنني أفعل ذلك.. وحضنت ملابسي
وخلدت إلى النوم حتى رن جرس منبهي في الساعة صباحاً
خرجت خارج غرفتي وألقيت صباحي على أبي الذي كان
يجلس ليقراً عناوين جريدته قبل مغادرته للعمل..

واتجهت نحو أُمي لأتناول بعض من الطعام الموجود
بالأواني التي أمامها ثم عدت لأرتدي ملابسي وكنت في
هذا اليوم كاملة الأناقة هكذا قد رأيتني عيناك وهكذا أنت
قد قلت لي عندما رأيتني.. قام بتوصيلي أبي كالعادة فصعدت
إلى المكتب لأجد أستاذ سعيد يحمل ساعة هاتفه وكان تقريباً
فاقدا أعصابه ومتوتراً جداً..

وجدته خارجاً نحوي قائلاً: أهلاً يا ليلي يا ابنتي.. هل
يمكنك أن تنقذيني من هول هذا الموقف الذي وضعني فيه
أحمد اليوم..

فقلت له وكادت ابتسامتي الخفية أن تفضحني في ظهورها
أمامه: طبعاً يا أستاذ سعيد تحت أمرك فأخذ يكتب لي بورقة
خارجية أسماء العملاء الذين لديهم موعد اليوم لاستلام
الملفات الخاصة بهم..

وأخذتُ الورقة بيدي وحقيبتني بيدي الثانية واتجهت
مسرعة إلى ذلك الشارع الذي اتفقت عليه معي لأقابلك فيه

لأجذك أمامي شابا طويل القامة ترتدي قميصك الأبيض
وبنطالك الأسود وحزامك الذهبس وحذاءك الأسود اللامع
كم كانت خصلات شعرك منمقة وكم كانت لحيتك لامعة..

أه من لوعة قلبي وأشواقي إليك.. مددت إلي يدك بالسلاام
فارتعشت يداي عند سلامك فسحبني منها لنبدأ بخطوات
المشي سوياً وأنت ممتلك يدي أخذت تقترب من كتفي قليلاً
لأشتم رائحة عطرك الساحرة كم أنت مُنمق في نفسك يا
حبيبي لم يأتِ على ذهني أبداً أن أعترض لمستك ليدي ولا
اقتربك من قلبي فقد كان هذا محبباً إلي.

بعد ذلك أنهينا عملنا سريعاً واصطحبني إلى حديقة مليئة
بالزهور قريبة من مكان عملي وأجلستني تحت ظل شجرة
عملاقة أتذكر وصفها جيداً كانت عملاقة مليئة بالأغصان
وأوراق الأشجار المتناثرة جلسنا وأخذت تتحدث إلي بالهمس..
ما أعذب صوتك وما أحن كلماتك يا عاشقي، وفجأة
قلتها.. أُحُبُّكَ..

فقلت لك: ماذا؟ فقلت لي: ليلي إني أحبتك.. فدمعت
عيناى فرحاً وشوقاً لكلمتك هذه..

أبهذه السرعة يا أحمد قد وقعت بحبي..

فصرت أرددها أحبك يا أحمد أكثر منك، وأنت صارت
ابتسامتك تملأ وجهك..

وأنهينا حوارنا وذهبت إلى المكتب وأثبتت تسليمي للملفات إلى العملاء عن طريق الفواتير التي استلمتها وسلمتها للعملاء وأنهيت يومي ورحلت لأجدك أنت بالأسفل تنتظرني على الرصيف المقابل للمكتب فاندعشت عيناى لرؤيتك مرة ثانية فإذا بك تقترب منى وتمسك بيدي وتقول لى: لم أستطع يا لىلى فغرامك حولني إلى جهاز إلكترونى جهاز تحكمه بيدك أنت حر كىنى كما شئت.. افعلى بقلبى ما تشائى فمن اللىوم أصبحت ملك يدك...

وفجأة استرددت ذهنى الشارد إلك لتأتى إلى فكرة البحث عنك عن طريق اسمك... فأمسكت بهاتفى وقمت بالبحث وبالفعل قد ظهر لى اسمك بعدما كنت فقدت الأمل فى وجودك لتواجد العديد من الأسماء المشابهة لاسمك.

أخذت أحرك الاسماء إلى الأعلى وقت لىس بكثير حتى وجدتك يا الله لقد وجدتك.. لا أصدق عىنى.. هل هذا أنت؟ مازلت وسىما كما أنت بالرغم من لمعة رأسك هذه أصرت أصلعا!

لا مشكلة فهذا لا يمنع أنك ما زلت وسىما..

وبالرغم من تلك العلامات التى ظهرت على وجهك والخطوط المرسومة أفقيا وعرضيا على وجهك مازلت وسىما.

ولكن لماذا لا أستطىع أن أرى محتوى صفحتك؟

ربما لأنني لستُ من ضمن قائمة أصدقائك!!
ولكن لا مشكلة سوف أقوم بإرسال رسالة لك وطلب
صداقة أيضاً...

كتبت له «كيف حالك»

تسارعت دقات قلبي وأنا أرى رسالة تُكتب..

رد علي أحمد: «الحمد لله بخير؛ من أنت؟»

لم أضع صورة شخصية لي توضح من أنا.. وأيضاً الاسم
مستعار..

كتبت: وأخيراً وجدتكَ، فات الكثير على افتراقنا.. ولكن
من المستحيل أن أنساكَ.

نسيت أن أعرفكم باسم حبيبي..

(أحمد) اسم ذو نغمة رنانة ترن على مسامعي كرقصة سلو
رومانسية تخطف قلبي وأنا أراقص حروف اسمك معها..
قرأ أحمد رسالتي وكتب:

«ليلي.. كيف حالك.. أين أنت.. طمأنيني عليك»

-أنا.. الحمد لله بخير مادمت أنت بخير.

-أخبريني عن أحوالك.. كيف صارت؟

-صارت أفضل وقت محادثتي معك..

توقف أحمد عن الكتابة لا أعلم ما السبب.. خلدتُ للنوم
حتى الصباح ولم يرسل أحمد شيئاً إلى وقت الظهيرة..
كاد الفضول يقتلني لأجد منه رسالة..
كل دقيقة تقريباً أنظر بهاتفي ولا أجدك يا أحمد.
ربما أنت مشغول.. ولكنني لن أغضب منك أبداً.. فدايماً
أخلق لك الأعذار وأجد لك بدلاً من العذر ألف عذر...

الباب الرابع

-أغربت شمس ذلك اليوم وأيضًا لم يقيم أحمد بإرسال رسالة واحدة تطفئ فضولي وتهديء من انتظاري..
فقمتم أنا بالكتابة إليه:

«حبيبي أحمد/ أتذكر لحظات تواجدنا بالحديقة الخاصة بنا..
تحميدًا هنا عند هذه الشجرة العجوز المحفور على مزلعات فروعها بالحفر البارز اسمي أنا وأنت يا رفيق القلب والعمر بوضع هذا القلب ذو السهم الخارجي.. أكتب لك بحروفي المتناثرة التي لا أعلم من أين أبدأ مقدمتي بها ولكنني كعادي سأترك قلمي يصحبنى إلى عالمك ويملاً سطور خطابي إليك كمثال كل مرة أرسلت لك فيها خطاباً أطلب فيه عودتك إلى وطني ومن هنا أبدأ رسالتي المائة وواحد.

حبيبي أحمد:

تحية طيبة...

تحية مني إلى نبضات قلبك وبعد.....

يا رفيق العمر ألن تعود إلى وطنك داخل قلبي وتعيد لي
بهجتي التي قد افتقدتها في غيابك.. كل يوم جديد يأتي وتمرُّ
علي شمسهِ إلى داخل نوافذي أنظر إلى ضوء النهار وألقي
عليك صباحي.. حتى عند احتسائي فنجان قهوتي فأنت من
علمتني إياه كيف أقوم بتذوقه وكيف يكون احتسائه.. أنظر
إلى قاع فنجاني لأتخيل أن ما تبقى من رواسب رشفاتي يتفنن
في رسم وجهك أو ربما اسمك المهم أنني أذكرك في كل لحظة
أحياها بدونك يا حبيبي..

أليس كفانا بعدًا.. فالبعاد قد أخفى طعم السعادة عن
عالمي.. أتذكر أيام عشقنا وقت المرح واللهو.. أتذكر
يا حبيبي!! فقد كنت أثناء حديثي معك أجدك تسلط
ناظرك على ناظري فأصير أنا بنصف لسان فتضحك أنت
وتقول لي اهدئي يا عزيزتي ماذا بك؟

أحببتُ أن أخبرك أنني أستمع إلى أغنيتنا المفضلة المحببة
إلى قلبك وعقلك ومسمعك التي كنا نردها سويًا دومًا وهي
للمطربة (فيروز)

«أنا لحبيبي وحبيبي إلي» اه اه اه يا روح الفؤاد أحاول أن
أتناسى من ذاكرتي ذلك اليوم الحزين يوم فراقنا.. عندما

ودعنتني وأنت تهمس لعيني بعينيك الجميلتين وكأنك تقول لم يكن بيدي أن أودعك أو أن أتركك.. ساحبيني..

فحدثتك بدموع عيني التي كانت ترسم مجرى على خدي كالنهر السائر في اتجاهه إلى مجراه... ومرت أعوام منذ فراقنا أعوام يا عمري لم أرك فيهم بعيني لم ألمس فيهم يدك لم أرتوي من ملامح وجهك.. أعوام لم أسمع فيهم صوتك الساحر على أذناي.. أعوام أقرأ فيهم حروفي إليك فقط..

انتظرت يومًا بأكمله لم يظهر لي رد منك... فعاودت في اليوم التالي بالكتابة إليك مرة أخرى.

«لعل المانع خير.. لماذا انقطعت الكتابة منك فجأة أثناء حديثنا»

فكان الرد: ليلي أعتذر منك.. أنا الآن بالعمل وعندما أنتهي سوف أرسل إليك.. وداعًا.

عدتُ إلى نفسي التي لم يعد لدي غيرها أتحدث إليها..

أخذت قلمي وفتحت أوراقي وبدأت أكتب:

«تجاوزت السادسة والثلاثين وأنا ما زلت داخل قوقعتي أنتظرك والآن أنتظر ردك...

لقد نموت عقليًا وجسديًا بما يكفي أن أكف عن حبك.. الجميع نضجوا إلا أنت يا قلبي ما زلت في مرحلة العشرين من عمرك..

توقف بك العالم عند تلك اللحظة.. لحظة رؤية ذلك من
خطف الدقات لصالحه..

وإذا بي فجأة أمسكت بهاتفي وأكتب لك..

«قد تعبت كوني وحيدة بدونك.. حياتي مليئة بأحداث
ممزوجة بين الحنين والألم واللوم.

أودُّ أن ألتقي بك صدفة فتصطدم بقلبي وأتركه يقوم
بتوبيخك بشوقه المميت القاتل..

احذر أن تراني وأنا نائرة لهذا الحد من الاشتياق فلدي
القدرة على تفتيتك إلى كتل يصعب تجميعها من داخل موقد
بركان نائر»

فوجدته يكتب: «حبيبي.. أفضل الحرب التي أقودها أنا
والحرب التي تقودينها أنتِ مازلتِ أنتِ من بالقلب فأنتِ
الحبيبة صاحبة ذلك اللقب»

لقد دمعت عيني لا بل بكيت بشدة.. لا بل بفرحه.. لا
والله برقصة في قلبي.. لا لا لا.. بل برعشة في جسدي.. وبلهفة
لرؤيتك.. أشتاق إليك.. أموتُ شوقاً عليك».

ثم عاودت الإرسال إليه قائلة:

«انتظرتك وقتاً طويلاً كسرعة القطار ولم نتقابل صرْتُ الآن
في منتصف الثلاثين من عمري..

قد ابيضت خصال شعري وهرمت ملاحمي ولم نلتق أبداً..
أصار الفراق جميلاً لك، ألم تتق شوقاً لرؤياي يا حبيبي..
ولسماع صوتي وأنا أحدثك عن عشقي لك..
لقد صار الجدار بيننا عالياً وصار الطريق طويلاً.. ألن
تأتي؟ ألن تعود؟.. يا حبيبي.. كن كما تكون وسأظل أنا كما
أنا.. أعشق حبك المجنون.. وأعشق انتظاري لك..
أعلم أنك تستمتع بطريقتك هذه معي.. كعلمي تماماً أنك
تقرأ كلماتي هذه الآن..

ولكن ما لا أعلمه كيف صار حالك الآن يا حبيبي؟

صدمت من الرد الذي أتى إلي منه:

«أرجوك يا ليلي دعيني ولا تطلبي لقائي أبداً.. أخجل أن
أقابلك بعد كل تلك السنوات الطويلة وأنا على هذه الحال..
صدقيني إذا تقابلنا ستلعنين ذلك الحب الذي ربطك بي..
وستكرهين كل تلك السنوات التي ظللت تعشقين فيها أحمد..
فأنا لم أعد أحمد السابق الذي تعرفينه...

- أرجوك يا أحمد.. أعطني رقم هاتفك.. وموعدا للقاء
بيننا.. ثم اتركني أنا من أحكم إذا كنت سأكره كل حب
السنين الماضية لك أم إنني سأقوى بك أكثر..»

كتب: هذا رقمي (*****)

إذا كنتِ مصرة على لقائي.. فسوف أنتظرك غداً الساعة الثامنة صباحاً في مستشفى (علاج الاورام) الدور الثالث.. ثاني غرفة على اليسار.. سوف أغلق الهاتف الآن.. أنتظرك غداً.. وداعاً..

قد جن جنوني وكأن جسدي قد أمسك به تيار كهرباء عابر يا ربي هون علي ذلك الوقت وتلك الساعات المتبقية حتى أستطيع الصبر إلى الساعة الثامنة.

جلستُ بشرفتي داخل غرفة نومي استمر تطلعي إلى السماء طويلاً

سرحتُ بأفكاري إلى أشياء مخيفة يا الله صبرني وأنزل سكينتك علي حتى أستطيع الصبر حتى الصباح.

أتت الساعة السادسة صباحاً فأنا لم أستطع النوم.. ارتديت ملابسني بلهفة وتشوق لمعرفة لماذا هذا المكان بالتحديد لأول لقاء بيننا؟

خرجتُ من منزلي متجهة إلى المستشفى ولا أعرف كيف وصلت قدماي إلى هذا المكان؟

وصعدتُ إلى الدور الثالث ثاني غرفة على اليسار كما اتفقنا أنا وهو..

الآن أنا واقفة أمام الغرفة.. يا الله ما هذا الذي يحدث لي... قلبي سيتوقف..

هناك إحدى الممرضات في نهاية تلك الطريقة الطويلة التي أقف بها..

أوقفتها لأسألها ماذا يوجد بتلك الغرفة؟

فقلت لي ألا تستطيعين القراءة؟

قلت: بلى أستطيع ولكنى أريد أن أعرف ماذا يحدث بالداخل؟

قالت: هذه غرفة خاصة (بأشعة الصبغة) لمرضى السرطان من الدرجة المتأخرة

قلت: هل تستطيعين مساعدتي في معرفة اسم شخص بالداخل أم لا؟

قالت: انتظري هنا وعند انتهائهم سيفتح باب الغرفة وسيقوم كل من بالداخل بالخروج للانتقال إلى غرفة أخرى.. تستطيعين وقتها معرفة من تبحثين عنه إذا كان بالداخل أم لا...

أرجوك اذهبي من هنا.. وتوجهي إلى هذه الغرفة التي بنهاية الطريقة..

تستطيعين زيارة من يقربك هناك...

فتركتهما وأخذت أقترب من باب الغرفة وكدت أن أفتح الباب..

وقتها قد منعني تلك الممرضة وشارت بغضبها علي قائلة:
ماذا تفعلين هنا؟ ممنوع الدخول؟

أرجوك قفي هنا ولا تفتعلي أشياء قد ألزم أن أتصرف
تصرفا غير لائق معك قبلها

والله لقد توقف قلبي فانا لم أعد أحتمل التأخير أكثر من
ذلك...

بعد انتظار طال لمدة نصف ساعة تقريباً كدت أن أفقد
فيها عقلي...

أعطني الصبر والقوة يا الله حتى أستطيع الوقوف على
قدمي...

أخيراً فتح أحدهم الباب من الداخل خرج منه أكثر من
طبيب مكتمين الأنف ويرتدون قفازات يديهم مخلوطة بلون
غامق مائل إلى اللون البنفسجي.. وخلفهم أكثر من ممرضة
ترتدين مثلهم تماماً.. بدأت عيناي تحرق أكثر جاحظة تبحث
عنك يا أحمد..

وأخيراً رأيتُ أحمد...

أكتب إليكم وصفه بدموعي وليس بقلممي..

وقد ابتلت أوراقي من شدة بكائي .. أمامي رجل ذابل
العينين لامع الرأس .. رحل عن رأسه ذلك الشعر الأسود
الكثيف اللامع ..

رحلت عنه ملامحه الملائكية الجميلة ..

وجهه كلوحة تصف هيكلًا عظيمًا لأحد الطلاب بكلية
الطب للشرح عليها ...

حتى حاجبيه لم يعد لهما أثر إلا تحديد لمكانهم فقط، أما
عن الجسد فقد هلك وتبقى على هيئة عظام إنسان حي .. أما
عن ذراعيه فصارا كخريطة من العروق الممتدة الزرقاء اللون
المغطاة بعلامات مثقوبة من كثرة المحاليل ..

يرتدي جلبابًا قصيرا خاصا بالمستشفى هناك، أطلقت
سراح صوتي أخيرًا وناديت: أحمد .. !

نظر إلي وهو مدمع العينين كاد أن يسقط من شدة تعب
أسرعت نحوه أمسكتُ به من ذراعه وأسندته من ظهره ...

أتعلمون ما هو الصعب في هذا الموقف؟

الأصعب في تلك اللحظة أننا لم نستطع احتضان بعضنا ..

أخذتُ أحتضن يديه فصرخ متوجعًا وقال لي: أرجوك يا
ليلي لا تضغطي على يدي .. فأنا لا أحتمل اللمس ولا الإمساك
بهما ..

تحرك معي أحمد بخطوة بطيئة تكادُ تشبه طفلاً لم يتجاوز
العام ونصف من عمره يتعلم خطواته الجديدة في الخطو على
قدميه ..

وغتجهنا إلى غرفة استراحته بعد تلك الساعات الشاقة
التي قد مر بها ..

كانت الغرفة بها أكثر من سرير يوجد عليهم أكثر من
مريض حالتهم كمثل حالة أحمد، أجلسته على سريره وقمتُ
برفع قدميه حتى يستطيع أن يسترخي على ظهره ..
أخذ ينظر إلي ويبيكي ..

وأنا أيضاً قد حنيتُ وجهي على رأسه وقبلت كل جزء قد
مر أمام شفتاي .. فقد توحشته ..

ثم جلستُ على الكرسي الجانبي لسريه حتى اقتربت عيني
من ذراعه الممتلى بثقب تلك الإبرة الرفيعة .. أخذتُ أقبل كل
ثقب يأتي أمام عيني وكأني أحاول أن أملأ فراغ هذا الثقب
بقبلتي .. لعلها تمحو ألمه ..

أو لعلني أستطيع أن أسحب وجعه لداخلي حتى أتناقص
معه ما يشعر به من عذاب المرض ..

كان يجب أن أكون متماسكة في هذه اللحظة ولكن كيف ...
ومن أين قد آتي بهذه القوة ؟ ...

أبعد كل هذه السنين عندما ألقاك أجداً هكذا يا سارق
الفؤاد؟

تفاجأ أحمد بي وأنا أردد على مسمعه..

«أتظن أني لهواك أنسى وأرحل.. فكيف أنسى أنا الذي به
دائماً أقوى وأصمداً»

أخذ يمسح رأسي بأطراف أصابعه...

ثم بدأ يحادثني بصوت خافت جداً.. قائلاً:

«ما كنت أظن أننا سنلتقي.. وأنني إذا قُسم لي أن أقابلك..
أقابلك هنا.. واليوم عند نهايتي»

قلت له: خذ ما تبقى من عمري وكن بخير دائماً، كن
بخير من أجلي..

قال: «أنا وحيد فلم يعد لي صديق إلا المرض، أما زلت
تصرين علي؟ حتى بعد رؤيتي بقايا إنسان هكذا»

قلت «أنا أيضاً كنتُ وحيدة والآن أصبح لدي حبيبي
الذي ساعطني به، والله لن أتركك ما دمت حية أرزق والنفس
يسير بجسدي»

قال «ألن تفكري في أي يوم أن تتركي ذلك المريض..
وتشعري بثقل نحوه»

قلت وأنا أقبل يده.. «لا والله لن أفكر حتى لو صرتُ
عجوزاً فساكون أنا عكازك في يدك وظهراً تتكأ عليه للزمن..
حبيبي كن بخير من أجلي»

حان وقت مغادرة أحمد.. ساعدته في حمل أشياءه واتجهنا
مغادرين باب المستشفى متجهين إلى منزله نعم أنا لا أنكر ما
سوف تقولونه علي هذه اللحظة، فلم يعد لأحمد غيري ضعوا
أنفسكم مكاني..

فتح أحمد باب شقته واتجه إلى ذلك الحائط باليسار وأشعل
النور ثم ناداني بالدخول...

كانت شقته تصف حال أي شاب أعزب يقيم في منزل بلا
امرأة تقوم بواجبات ذلك المنزل وتراعيه..
دخل أحمد إلى غرفة نومه وأنا أرافقه...

قمت بوضعه في سريره وأخذت أنظر إليه متألمة ملامحه
التي لم يشأ لي الزمن أن أحفظها جيداً..
لم يتغير بعيني حتى والمرض يأكل ملامحه..

من الواضح أن أحمد قد ذهب في النوم فقد كان يوماً
شاقاً ومتعباً.. خرجت من غرفته وأنا ألتصق على أطراف
أصابعي خوفاً من أن أوقظه..

واتجهت بخطواتي إلى المطبخ وأخذت أدقق النظر داخل
ثلاجه وجدتها مليئة ولا ينقصها شيء سوى أن أقوم بتجهيز
الطعام منها وأضعه على النار..

أخذت أبحث على هاتفني عن الأكلات المفروض تناولها
لنوعية ذلك المرض..

وبالفعل أنهيت طعامه في أقل من نصف ساعة وتركته على
الطاولة بالخارج وأخذت أبحث عن ورقة أو أي دفتر أكتب
فيه لأحمد لأجد ذلك الدفتر أمامي على هذه الطاولة..

فقممت بفتح صفحاته لأجد مكتوباً هذه الكلمات:

«أهكذا يا حب... كلما نويت الابتعاد عنك أجذك أمامي..

أهكذا يا حب.. فأنا ما أردت يوماً الاقتراب منك ولكنك
ظلمت ملتصقاً بي..

لا تنوي أبداً على فراقني.. أهكذا يا حب.. قد وضعت
قلبي بيدها..

ألم أقل لك دع قلبي معك أمانة ووصيتك عليه.. أهكذا
تؤلمني وتبكينني وتأخذني لمكان أعمق من بئر الحرمان...

أهكذا يا حب..

ألم تعاهدني على أن أكون أسعد الناس.. أهكذا أجديني
فجأة مع الأموات..»

انتهيت من قراءتي لهذه الكلمات القاتلة..

أخذت أقطع ورقة جانبية وتركتها له مكتوب بها «أعددت
لك أكلة بسيطة.. تناولها حتى تستطيع أخذ دواءك.. وعندما
تنتهي حادثني..»

أحبك..»

غادرتُ منزل أحمد وكان قد اقترب المساء ذهبت إلى منزلي
وارتديت ملابسني وأعددت طعامي أنا الأخرى وبدأت في
تناوله..

أخذ عقلي يشرد بي في قصتك يا أحمد هل كل هذا الوقت
لم تتزوج؟

فقد كبرت في العمر واقترب عمرك من الخمسين.. فكيف
يكون لك من الوحدة نصيب مثلي؟

أسئلة كثيرة تجولُ في ذهني أحتاجك لتجاوبني عليها»

أريدك أنت أن تريح عقلي وتجاوبني؟

خلدت للنوم فقد كنت منهكة من التعب فأنا لم أنم منذ
ليلة أمس..

وما أن غرقت في نومي إلى أن رن هاتفي.. إنه أحمد يتصل

بي.

- الووو مرحبًا جيبني كيف صار حالك الآن؟
- بخير والحمد لله صرت أفضل.
- هل تناولت طعامك؟
- نعم وأخذت دوائي أيضًا.. أردت أن أشكرك على مساعدتي اليوم...
- تشكرني!! على ماذا! أنت روعي يا أحمد وهل يمكن لأحد أن يفرط في روجه.
- غدا سوف آخذ أجازة أيضًا من الشركة.. فأنا مازلت أشعر بالتعب..
- أحمد ما هي وظيفتك؟
- أعمل بإحدى الشركات للطباعة الورقية.. منذ اثني عشر عامًا.. لذلك يعطوني ثلاثة أيام بالأسبوع راحة فهم يقدرون نوعية مرضي هذا
- حتى أتمكن من إتمام علاجي.. وبالفعل أحمد الله فقد اجتزت شوطا كبيرا من مرحلة علاجي.. هكذا أخبرني طبيبي.
- وهل أنت لم تتزوج إلى الآن.
- صمت أحمد لثوان فقلقت وناديته: أحمد.. ماذا بك؟

- نعم يا ليلي

- هل تعبت من كثرة الكلام معي .

- لا.. لا.. أنا فقط سرحت بخيالي لوقت تعارفنا وكم كانت تلك الأيام جميلة كانت تحمل عنوانا للبراءة.. كانت كل لحظة بها تحمل لونا مختلفا عن أيامي هذه.

فمنذ أن رفضني والدك بدون سبب.. فقط لأنني أحببتك وكأن هذا ذنب قد اقترفته أن أتزوج من اختارها قلبي بالحلال..

من بعدها اختفت كل أخبارك ومررت أعوام على فراقنا التقيتُ بفتاة حميدة الأخلاق لمدة قصيرة.. كانت تعمل معي بالشركة وتزوجنا.. ولكن لم يرد الله أن تكتمل سعادتي معها.. فعندما حان موعد إنجابها طفلنا أخذ الله أمانته عنده.

- آسفة على تذكيري لك بتلك الأحداث الأليمة.

- لا عليكِ فأنا لا أنسأهم.

- أكمل أنا أسمعك.

- أريد أن أسمعكِ أنتِ.. أخبريني من لحظة ما تركتك إلى أن تقابلنا اليوم.

- ياااااااااا... لا أريد أن أرهقك في الحديث معي

- لا تقولي هذا فأنتِ لا تعلمي كم أشتهي تلك اللحظات
معكِ.. هل تزوجتِ أنتِ أيضًا؟

- لا

- إذن كيف هو حال والديكِ؟

- ينعمون بالراحة من هذه الدنيا

- عفوا لا أفهم ما تقصدين؟

- قد رحلوا وتركوني وحيدة..

ثم اقتحمني البكاء.....

- لا لا تبكي.. اهدئي بالله عليك.. أهذا يعني أنكِ تقيمين
في المنزل وحدك؟

- نعم من سوء حظي..

- لا أحد من أقاربك يزورك؟

- ليس لي أي أقارب.. فقط هو خال واحد يقيم بكندا
بالخارج ولا أعلم متى سيعود؟؟

- ليلي.. لا تخافي أنا معكِ ومن اليوم لن أترككِ لمدة ثانية
واحدة، فعلا يا ليلي لو علمتم الغيب لا اخترتم الواقع..
يرفضني والدك وأتزوج من غيرك فيتوفى والدك وتتوفى
زوجتي ويشاء القدر أن يجمع بيني وبينك لتشاركني لحظات

مرضي وأشاركك أنا لحظات وحدتك كم غريبة هذه الدنيا؟؟
لا أنكر عليكم الأمر فقد أصابتني الغيرة عندما قال لي
أحمد كلمة (زوجتي) فقد كنت أتمنى أن أكون أنا صاحبة
ذلك اللقب..

أعلم أنها قد رحلت ولكني لا أعرف لماذا انتابني الغضب
من سماع هذه الكلمة.

أثناء تفكيري هذا كان أحمد صامتًا، ناديته: أحمد.

قال: قولها مرة ثانية...

- أحمممد

- ياااه كثير ايمرون بذكر اسمي على أذني ولكني لم أسمع
يوما اسمي بحلاوة نطقه من فمك ولا برقة وسحر صوتك
هكذا...

فاحمر وجهي خجلا منه.

- أتخجلين مني أنا يا ليلي؟

- وكيف عرفت أنني قد خجلتُ منك.

- أنا أعرفك جيدا وأتخيلك أيضًا الآن كيف تحمرين خجلا
مني.. ماذا إن أخبرتك أنني أريدك غدًا.. نتقابل ونقضي اليوم
معا.

- وهل صحتك تسمح بقضاء وقت خارج منزلك؟
- طالما هذا الوقت معك لا يهمني من الحياة شيء سوى أن
نكون معا.

- تمام سوف أحداثك بالصباح ونتفق على الموعد.
- أولاً نحن صرنا بالنهار يا أجمل ليلي.. ولماذا نحدد
الميعاد، عودي نفسك أنني سوف أكون زائراً لك وأخذك من
يدك كالطفلة لمكان ما تريدين.

ابتسمتُ واتفقت معه أنني سأكون في انتظاره، وما أن
مرت ساعات حتى أتى ظهر اليوم ووجدته بالفعل أمامي
يدق بابي..

وكنت أنا بالفعل جاهزة على لحظة خروجنا.. غادرنا
منزلي وهو ممسك بيدي وكأنه يخشى فقدانها من الإفلات
منه، ثم قام بفتح باب سيارة رمادية اللون وجعلني أسبقه في
الدخول بها..

كانت دافئة مثل قلبه من الداخل.. قام بالدخول هو
أيضاً وحرك مفتاح السيارة وأوقد مسجل سيارته على أغيتي
المفضلة (أغداً ألقاك) يا خوف فؤادي من غداً.

كنت أعشق هذه الاغنية بكلماتها ولحنها وصوت مطربتها
سيدة الغناء (أم كلثوم) فتبسمت له وقلت:

- يا اااه هل ما زلت تذكر ما أحبه؟

- نعم وأعرف أيضا ما تودين قوله الآن.

- وما هو إذن يا قارئ الأفكار؟

فأعطاني ورقة مملوءة بعطره يكسوها حروف بحبر أسود
بخط جميل يجذب العين مكتوب بها:

«قولي لي يا عشق الفؤاد... كيف ابتعدت عني وأنتِ عشق
الحياة بالنسبة لي.. وطوق النجاة إلي.. أعلم أنكِ تعشقين
الكتابة لذلك أخذت أكتب لكِ من الدفاتر ما لا تستطيعين
إحصاءه.. قولي لي يا عشق الروح أهون عليكِ تؤلميني
وتذبحينني وتتركيني هكذا أنا وجرحي.. قولي لي يا أعز
الناس كيف لي أن أنسى صاحبة أول لمسة وأول دقة وأول لقاء
وأجمل إحساس بالكون.. قولي لي يا مُنى العين.. عديني ألا
نفترق مرة ثانية وفي هذا الوقت بالتحديد فأنا الغريق في بحر
عينيك.. وفي نهر هوائك.. وأستنجدُ بكِ أستركين يدي كي
أسقط ولا ألقاك.. قولي لي كيف لي أن أعيش أنا بدونك وأنا
كالسمك إذا خرج من الماء فقدَ نفسهُ.

فضحكت والدموع تتسلل محاولة الفرار من عيني...

فقال لي: أعرف السؤال الذي بذهنك.

قلت له: وما هو يا قارئِي؟

- إلى أين أنا ذاهب بك؟

فصرت أضحك.. وقلت له: نعم إلى أين؟

- الآن ستعرفين.. لا تتعجلي.

وفجأة أوقف سيارته وقام بإنزالني منها أمام محل مجوهرات
يظهر عليه الفخامة والشياكة.. ويظهر عليه الجمال..

أخذني من يدي وقام بفتح الباب الخاص بالمحل وألقى
السلام على الرجل بالداخل.

- مساء الخير أستاذ كمال.

- مساء النور يا أستاذ أحمد.. ثم غمز له بعينه اليسرى
وقال: هل هذه هي؟

- نعم هي.. ما رأيك؟

- واضح من خلال نظرتها لك.. الحب.

- وهل الحب يكتب هذه الأيام على الوجه يا أستاذ كمال؟

- لا ولكنها لا تتطلع على أي شيء أمامها من الذهب
والمجوهرات وتسلط نظرها عليك أنت فقط برغم أن المكان
يوجد به أكثر من شيء مغرٍ.

أحمد وهو يضع ذراعه على كتفي: هذه ابنتي وحبيبتني
والآن أعلنتها خطيبتي ونهاية الأسبوع زوجتي.

حالة من الخجل مخلوطة مع شعور الثلج في الشتاء
مصحوبة بدقات قلب متسارعة قد أمسكت بي.

ثم قلت: ماذا؟

- خطيبي هل توافقين؟

ارتيمت في حضنه صائحة: نعم نعم أوافق.. ثم بكيت
بشدة لدرجة أنه كان لبكائي صوت عالٍ.

فاحتضنني أحمد بقوة وهمس في أذني قائلاً:

- أحبك يا ليلي.. وهل سأجد أحدا يجعلني بطل أسطورة
عشق مثل (قيس وليلى) غيرك أنت.. وهل أجد من يطيل
انتظاره لي ويظل فؤاده ينبض بعشقي بل ويزداد برغم البعاد
غيرك...

أنت جعلتيني أعرف للحياة طعم من جديد وزادت قوة
تمسكي بالدنيا بعد أن كنت استسلمت لمرضي.. فأنا كنت
قد فقدت الأمل في أن أصير مصدر عشق لأحد من بعدك..
فوالله فعلا الحب الأول لا عوض عنه..

ثم نظر لكمال الذى ظل صامتا ناظرا إلينا وعيناه تلمع من
فرحته بنا وقال وهو يشير له بيده: أريني هذه اللعبة الموجودة
أسفل زجاج العرض هذا من يمينك.

أتانا كمال بعلبة زرقاء اللون مربعة الشكل بها أكثر من
شكل خاتم فأخذ أحمد واحدا من بينهم.. خاتما مستديرا
رقيقا جدا كان له فص مستدير بارز لونه لون الزجاج
الشفاف يعكس الإضاءة كالكريستالة الزجاجية..

وأمسك بيدي اليمنى ثم وضعه بإصبعي وقبله قبله دافئة
وقال لي: مبارك علي أنتِ يا ليلتي.

الباب الخامس

توالت الأيام والليالي ونحن أسعد حبيبين بالعالم وكأني قد
ولدت من جديد صار وجهي تشع البسمة منه..

أحمدك يا الله قد نولت قلبي مناه... وصار حلمي حقيقة..

والحمد لله قد أوشك أحمد على الانتهاء من فترة علاجه
هكذا صرح لنا طبيبه الخاص.

وسمح له بالزواج مني بدون أي قلق على صحته.

وغداً هو يوم زفافي.. غدا هو فرحة عمري وكأنك يا حبيب
العمر تحاول أن تسابق الأيام وتسرق منها ما تستطيع من فرح
تدخله إلى قلبك.. وكأن طبيبك أراد أن يعطيك مفتاح زنزانتك من
السجن الذي كنت تكمن فيه داخل مرضك وأطلق سراحك..

اليوم انتهى تقريبا وحل المساء.. وقد أتممت تجميع كل
لوازمي وها هو فستان زفافي يكسو مساحة سريري بلونه
الملائكي يزغلل عيني من جماله فكم هو جميل..

فقد أرسله لي أحمد اليوم وهو من اختاره لي.. بالطبع
سيكون أجمل فستان فهو من ذوق حبيبي.

ذهب آخر مساء وآخر ليلة لي بمنزل أبي وأمي ودعتُ
غرفتهما وأخذت صورهما معي وأتى صباح يوم زفافي...

دق بابي...

قلت: من؟

- أنا مديحة..

إنها مزينة العرائس أرسلها لي أحمد فهي من أشهر مزيني
العرائس بالمنطقة...

تمت لي كل شيء تحتاجه أي عروسة في مثل هذا اليوم.. قد
جعلتني عروسة على أكمل وجه..

وها هو قد جاء أحمد على بابي يطرقه...

يا الله... قد طرق باب قلبي أيضًا.. فتحت له مزييتي
الباب وكنت أنا واقفة مثل الملائكة في جماهم أنتظره وعلى
وجهي طرحتي الشفافة المتدلية..

اقترب مني أحمد وهو يرتدي بذلته السوداء الأنيقة يا
لجمالك ويا لحظي الجميل فزتُ بأجمل شاب على الأرض...
صمد أحمد بمكانه وكان يفصل بيننا تلك الطرحة المتدلية..

أزاحها عني بيديه وهو يرتجف فرحًا...
وأخيرًا...

اجتمع وجهانا والتقت عينانا... قبل وجنتي واحتضنتني
بهدهوء رائع وأمسك يدي وقال: هل تصدقين ما سوف أقوله
لك الآن؟
قلت: نعم.

قال: وهل للملائكة الحق أن تكون موجودة على الأرض
مثل البشر..

ثم حملني بقوة وصار يدور بي حتى صار شكل فستاني
كوردة متفتحة في بستان من الورود.
أنزلني على الأرض وقام بتقبيل رأسي وأخذ يحمل ذراعي
بذراعه وأخذني للنزل على سلام بيتي.
كانت المفاجأة...

الجميع كانوا فرحين لي من الجيران وصارت أصواتهم
تتعالى بالمباركة لنا، أصوات الزغاريد بدأت تتعالى بالشارع.
كل من أعرفهم ومن لا أعرفهم كانت الفرحة تملأ
وجوههم وكانوا يهتفوننا من قلوبهم..
ها هي سيارة أحمد يا لك من رجل عظيم...

فالسيارة أصبحت مغطاة من الأمام بزهور بيضاء وفي منتصف دائرتها ورد أحمر جميل وأيضا يوجد خلف السيارة نفس الورود مثل الموجودة بالأمام.

فتح لي أحمد باب سيارته وأدخلني بفستاني الطويل للدخل ثم أغلق الباب ورائي.. وجلس هو بجواري يقود السيارة...
أراه زفافا مختلفا عما أعرفه من قبل...

أوقف أحمد سيارته أمام فندق يطل على شاطئ النيل الجميل..

ومن الواضح أنه فندق فخم خمسة نجوم كما يقولون.. كان أحمد قد أتم بيانات الحجز بالفندق وأنا أقف بفستاني أبعد خطوات أنتظره حتى ينتهى من حديثه.. أخذنا العاملين بالفندق إلى قاعة صغيرة وقاموا بتهنئتنا.

استقبلنا عازف الكمان أخذ يعزف لنا مقطوعات رومانسية رقيقة راقت لمسمعي، أخذنا إلى طاولة مغطاة بقماش حريري أحمر موجود عليها ثلاث شموع طويلة حمراء مربوطة بفيونكة ستان بيضاء.. موضوع فوقهم كأس عصير ينتظرنا على هذه الطاولة هذا المأذون الذى سيربط اسمي باسم أعز الناس لقلبي .

جلست أنا من يمين الطاولة وأحمد من يسارها والمأذون
أخذ الكرسي الذي يفصل بيننا وأخذ يردد علينا كلمات إتمام
الزواج إلى أن وصل لبارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما
في خير..

وأزاح المنديل الأبيض من على يدينا وتركنا وذهب.. صار
عازف الكمان يعزف لنا أجمل الألحان والمقطوعات الجميلة
من الموسيقى في ظل الأضواء الرومانسية حولنا صرنا نرقص
أنا وأحمد حتى فات الوقت بدون أن نشعر..

أخذني أحمد ومعنا أحد العاملين بالفندق ليدلنا على
غرفتنا..

وصلنا لهذه الغرفة الجميلة.. كانت تشع بالإضاءة البيضاء
وسرير مفروش باللون الأبيض مبثـثر عليه أوراق الورد
الأحمر المصفوفة على شكل قلبين داخل كل منهما حرف من
بداية اسمنا...

وبالجوار طاولة مستديرة متحركة يوجد عليها أكثر من
صنف عصير ولحوم وخضار مشكل وفاكهة.. جلسنا على
طرفي السرير ننظر في أعين بعضنا.. ثم فجأة قام أحمد وحملني
وأخذ يدور بي فقلت له: ما هذا أنزلني كفاك عبثاً بصحتك.

- أتستكثرين علي تحقيق تلك الأمنية بعد أن أصبحت
ملكي وزوجتي..

ثم احتضنني بقوة وكتم أنفاسه داخل صدري وهو
يضممني بكل ما أوتي من قوة ثم عاد قائلاً لي:

- أنا أحبك أكثر من نفسي.. وانهار في البكاء فقلت له:

- بالله عليك لا تبكي... ودعك من الدموع وأدخل مكانها
الفرح يا حبيبي..

فأخذه إلى صدري ضامة إياه وأنا مغمضة العينين ثم قلت
له: وأنا أيضاً أعشقك يا نفسي.

كان أحمد يضع على طاولة الطعام ورقة.. أخذتها لأرى ما
بداخلها فوجدته كاتباً لي هذه الكلمات الرقيقة...

«محبوبتي.. نعم فأنتِ محبوبتي لست أدري لماذا أسميتك
هذا الاسم ولكن قلبي ولساني سبقوني ولقبوك بهذا اللقب..
محبوبتي لقد أسرت حبي في قلبي كل هذه السنين وحن الآن
موعد إطلاق سراحه وسأجعل قلبي من اليوم أسيرك طوال
العمر... حبيبتي.. لن أتركك أبداً لا بخيالي ولا بقلبي ولا
بعقلي.. ولا بحياتي كلها طول ما حييت.. صغيرتي سأجعلك
قنديلاً لحياتي أضيء به ظلمتي ليلاً... وأجعله نهراً شمساً
تشرق لي يومي.

فأنا لك دوماً... عاشقاً...

زوجك.. وحبيبك... # أحمد

مضت الأيام وكانت الأحداث بيننا طبيعية جداً كمثل أي
اثنين في أول أسبوع لزواجهم...

ولكن أحمد قد ظهرت عليه علامات التعب.. ماذا قد حل
بك يا قلبي مرة أخرى؟

أخذت أكتب رقم خدمة الفندق المعلق على الحائط فوق
تليفون الغرفة طلبت منهم المساعدة وما أن عاودت ألفت إلى
أحمد حتى وجدته مغشياً عليه..

أخذ باب الغرفة يدق ذهبت بسرعة أفتح الباب لأجد
طبيباً مختصاً بالفندق أمامي.

أخذ يسألني بعض الأسئلة العادية وهو يتفحصه حتى
أخبرته أنه مصاب بمرض السرطان..

أسرع الطبيب وطلب من هاتفه استدعاء سيارة إسعاف
لتحمل أحمد حالاً...

ذهبنا إلى المستشفى التابعة لعلاج أحمد..

نحن الآن بغرفة الاستقبال.. تم فحصه من طبيب
الاستقبال ثم استدعى فريقاً لأخذه إلى القسم العلوي لأخذ
جرعة كيماوي حالاً ووضعته تحت الملاحظة.

أخذت أجري ولا أعرف ماذا أفعل حتى قابلت طبيب
أحمد المسئول عن حالته أخذ الكلام يخرج مني غير مجمع:

- أخبرني يا دكتور ماذا حدث لأحمد؟

طلب مني أن أنتظر هنا حتى ينتهوا من فحصه بالداخل..
مر أكثر من ساعة... كادت في هذه الساعة أن تتوقف فيها
دقات قلبي..

لا أعرف ماذا يحدث بالداخل..

أخيراً خرج دكتور أحمد المختص بحالته ليخبرني أنه
للأسف قد صعد الورم السرطاني إلى مخ أحمد..
وبناءً عليه سيستمر حجز أحمد إلى وقت غير معلوم..

خضع أحمد للعلاج حوالي شهر ونصف وهو لا يعلم عني
شيئاً.. فهو فاقد الوعي تماماً منذُ بدأ العلاج..

أحسستُ أنني منهكة جداً فعرض علي الطبيب أن آخذ
قسماً من الراحة حتى أستطيع أن أواصل الوقوف بجانب
أحمد ومعاونته على تجاوز تلك المرحلة..

في ذلك الوقت كنت أحمل في أحشائي طفلاً منك يا
حبيبي.. وكنت أنتظر أن تفتح عينيك لأخبرك بذلك الخبر
لعله يجعلك تمسك بي وبحياتك أكثر وأكثر.. استدعاني
الطبيب لألقي نظرة على أحمد فقد عاد لوعيه..

أسرعت كالمجنونة لأرى حبيبي وأخبره بحملي اتجهت إليه
وأنا سعيدة جداً أخذت أمسح بيدي على رأسه وأخذت يده

ليلامس بها بطنى وما أن ألقىيت عليه خبر حملي حتى سقطت
يده وفقد وعيه مره ثانية أخذت أنادي: دكتور ساعدني..
أرجوكم ساعدوني..

جاء فريق من الدكاترة والممرضات وأخرجوني للخارج
وقفت ألقىي دموعي على زجاج غرفته وأنا أشاهدهم يفعلون
كل ما بوسعهم لإنقاذه إلى أن توقف ذلك الجهاز المجاور له
ليعلن صوت إنذار توقف قلب أحمد وقعتُ على الأرض وأنا
أصرخ باسمه وأنادي عليه: أرجوك كن موجودا من أجلي..
من أجل طفلنا الذي مازال بداخلي أتركه هكذا بدون لمسه..
أذهب وتتركني بعد أن ذقت أجمل أيام العمر منك...

لا تتركني مثلهم فجميعهم تركوني مثلك ورحلوا... لمن
سأعيش ولن سأبقى.. أرجوك خذني معك..

يا الله ساعدني.. ما عدتُ أقوى على صدمات الحياة...
رحل من كنت أعيش من أجله.. رحل من كان سبب عشقي
للحياة.. رحل حبيبي بالماضي وزوجي بالحاضر.. كيف لي أن
أحيا بدونك.. كيف لي أن أكون وهو لا يكون.

رضيت بقضائك لي يا الله.. أخذت مني تاريخ عشقي
وأعطيتني منه ذلك الملاك الصغير.

توالت الشهور وأتى إلى عالمنا ملاكي الصغير..

وها أنا قد رزقت بمولودي الجميلة منك وقد أسميتها
(ملك) مثلما كنت تتمنى معي بالماضي فهي تشبهك شكلا
وطباعا أيضا...

وسأترك لها دفاتري التي تقص روايتنا والحرب التي
مررت بها أنا من مرارة البحث عن أبيك.. ومرارة الألم مع
المرض التي عاناها أبوك...

اقرئي كلماتي عند الكبر.. أما أنا سأقصها عليك في
الصغر... حتى تقصها على أولادك من بعدي كما قصتها
هنا في روايتي.. لأطلق صاروخ روايتي التي أسميتها (كنت
أمسي والآن أصبحت حاضري)...
